

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-Islami

العدد (٦٨٤) شعبان ١٤٤٣ هـ - مارس / أبريل ٢٠٢٢ م

مجاناً مع العدد: برامع الإيمان

التَّوَّاصُّلُ الْحَضَارِيُّ سُلُوكٌ إِسْلَامِيٌّ

- لماذا شعبان؟
- لَا تَأْخُذُوا دِينَكُمْ مِنْ غَوْلٍ
- الدُّكْتُورَةُ بِنْتُ الشَّاطِيءِ نَمُودَجْ فَرِيدٌ



موقع مجلة الوعي الإسلامي



alwaeiq8@gmail.com



www.alwaei.gov.kw



مجلة الوعي الإسلامي

مصرف الاطعام



الأمانة العامة للأوقاف



وقف على توفير المواد الغذائية
للمحتاجين وإفطار الصائم والأضياف



Q8APF



WWW.AWQAF.ORG.KW



فهد محمد الحزري
رئيس التحرير

التواصل الحضاري بين الأمم

قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). وإن من مقاصد الإسلام التعامل مع الناس كافة بالتّي هي أحسن وفق الضوابط التي أقرتها أحكام الشريعة الإسلامية، فركائز التعامل تكون بالفعل النبيل، والقول الجميل، والأخلاق العالية الراقية، لقوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا اللَّهُ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) (فصلت: ٣٤-٣٥).

وما زال ديننا الحنيف يدعو إلى إرساء سبل التواصل مع الحضارات الأخرى وفق منهج محكم يشمل ضوابط التعامل مع غير المسلمين، فالصدق والعدل والأمانة من أخلاق الإسلام العظيمة التي ميزت الحضارة الإسلامية، فكانت هذه الصفات نورا لكل مسلم، وأساسا متبعا في التعامل بين المسلمين أنفسهم، وفي التعامل مع غير المسلمين المودعين والمهادنين ممن لم يعتدوا على حرّمات المسلمين أو يسفكوا دماءهم أو يخرجوهم من ديارهم، قال جل وعلا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨). وقد نهى ديننا الحنيف عن التعدي على معتقدات غير المسلمين بغير حق، حاثا على عدم إثارة الأحقاد، وتوريت الضغائن، وإحداث النزاعات بين الشعوب، وذلك في وقت أمس ما تكون فيه الحضارات إلى التواصل بشكل يضمن الخير للشعوب مع حفظ حدود الله التي حدها للبشر، وحفظ العزة والكرامة لديننا الحنيف، قال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، فعلى هذا الأصل الأصيل يثمر التواصل بين الحضارات: التعاون البناء، والحوار المثمر.

لقد احترّم الإسلام عادات الشعوب وتقاليدهم ما دامت لا تخالف أصول الشريعة وأركان الدين، وترجم المسلمون منذ بداية الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة مبادئ التواصل الحضاري، فكانوا منهجا يحتذى به في التواصل البناء، والتعامل بالندية مع رؤوس تلك الحضارات، وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم قاداتهم مخاطبة العظام المحترمين في قومهم، وأقرهم على تطوّرهم الحضاري الذي كانوا يعيشون فيه، وحث المسلمين على الإفادة من هذه الحضارة، وكان لهذا النمط من التعامل تأثيرا على تلك المجتمعات؛ فدخل الناس في دين الله أفواجا، وهكذا تابع المسلمون تواصلهم الحضاري في الاستفادة والإفادة وتشهد لهذا مختلف المحطات التاريخية التي تعد نقاط تلاق بين المسلمين وغيرهم، ولعل الحضارة الإسلامية الأندلسية في تعددها الثقافي، كانت نتيجة لنقل التراث الحضاري الإسلامي لأوروبا؛ وهذا نموذج مهم للتواصل الحضاري، ترسخت فيه الأواصر بشكل جلي وواضح بين الأفراد والجماعات بشكل جعل منه محطة تواصلية فريدة عز تكرارها عبر التاريخ.

وختاماً، فإن التواصل الحضاري أصبح ضرورة واقعية ينبغي علينا كمسلمين تهيئة المناخ المناسب لتفعيل ثقافة التواصل والحوار على جميع المستويات. ومن خلال التواصل ستمكن الأمة الإسلامية من معرفة موطئ قدمها في واقعها الحاضر واستشراف مستقبلها الآتي، وفق ما تملكه من قدرات وإمكانات حضارية، وما هذه إلا الخطوات الأولى للنهوض وسلك طريق الريادة الحضارية.

في هذا العدد



مجلة الكويتية جامعة

الوكيل

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٤ / شعبان ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
مارس - أبريل ٢٠٢٢ م

٢٨

فتحه التواصل الحضاري بين الأمم



١٢

أطل الأمير فاكتملت الفرحة



٧٢

الطفل ريان.. أيقونة أضاعت تراحمنا



٤٤

التكريم الإلهي للإنسان مظاهره وآثاره



وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس: ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

التوزيع

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● المغرب: الشركة الشريفة للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
● سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	● لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	● كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥

رئيس التحرير

فهد محمد الخزي

المراقب المالي والإداري

طلال عثمان العثمان

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع العصرية

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف: ٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٤٣٢٨٣
للإعلان: ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر: دار الإعلام العربية-٤٣ شارع
دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية
- المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net
المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تلقاها للنشر.
وال مقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

سعر
النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات ● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٥ جنيه ● السودان: ٥٠٠ جنيه ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠ دراهم ● تونس: ٢ دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



التواصل الحضاري

أقام الإسلام جسور التعاون والتواصل بين الناس على أساس المبدأ العام الذي أقره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، فالتعارف بين الناس والتواصل بينهم سبيل من سبل نمو الحياة وتقدمها وتطورها، إذ لو جمد الناس على ذواتهم وانكفأ كل فريق على ما عنده لتوقفت مصالح الناس وتعطلت على مختلف الأصعدة، وتلك مفسدة كبيرة على البشر.

ورسالة الإسلام باعتبارها إصلاحاً للعالم وللنفس وللآخر وإقامة للحضارة بمعناها الشامل بين الأمم لذلك كانت الدعوة إلى التعارف والتعاون والتواصل بين البشر وإقامة جسور التواصل مع الناس أجمعين جزءاً من دعوة الإسلام ورسالة النبي ﷺ الذي أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ولما فهم المسلمون الرحمة بمفهومها الشامل مدوا جسور التواصل الحضاري بين الثقافات والحضارات المختلفة، من خلال تقوية الروابط التي تجمع بين الشعوب، فأقاموا حضارة إسلامية ممتدة من أدنى المشرق إلى أقصى المغرب في وقت قياسي من الزمن، فوصلت رحمة الله تعالى إلى أرجاء المعمورة لأولئك الأقوام وهم في عقر دارهم، ووصلت الفنون والمعارف الإسلامية من طب وفلك وجبر وبصريات وجغرافيا وفيزياء وكيمياء والفنون العسكرية.. وغيرها إلى أرجاء العالم في وقت كان فيه الجهل يخيم على عواصم العالم وينخر في أجساد أبنائه وعقولهم.

التحرير

٣	الافتتاحية/ التواصل الحضاري بين الأمم
٦	قرآن/ تواضع القراءة الألسنية لسورة الفاتحة
٨	سنة/ إشكاليات حول بعض معاني أحاديث الصيام والجواب عنها
١٢	محليات/ أطل الأمير فاكتملت الفرحة
١٤	تفسير/ أين خير الإنسان؟
٢٢	قضايا/ المؤسسات الإعلامية الغربية
٢٤	ملف العدد/ التواصل الحضاري ضرورة يملها التنوع
٢٨	فقه التواصل الحضاري بين الأمم
٣٢	التواصل بين الأمم سلوك إسلامي
٣٣	فوائد التواصل بين الأمم
٣٤	تكامل لا تصادم
٣٧	دراسات/ كيف نعلم إكرام الضيف للجيل الجديد
٤٠	مفهوم الحياة في الإسلام
٤٤	التكريم الإلهي للإنسان مظاهره وآثاره
٤٨	حضارة/ خير أمة
٥٠	شخصيات/ فخر الدين قباوة.. العالم العامل
٥٣	قانون/ المحاماة في الإسلام
٥٦	لغة وأدب/ قراءة نقدية في إبداعات الوعي الشعرية
٥٨	مطعم التسونامي
٦٢	حراء النور
٦٣	شذرات
٦٤	د. شوقي ضيف.. أحد أعلام اللغة العربية
٦٦	الدكتورة بنت الشاطئ
٦٩	فكر/ لا تأخذوا دينكم ولا علمكم عن محرك غوغل
٧٢	متابعات/ الطفل ريان.. أيقونة أضاعت تراحمننا
٧٤	أسرة/ أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال
٧٦	فن التربية بالفسحة للأطفال
٧٨	صور من البر والعقوق
٨١	أخلاق/ أخلاق المعلم المؤثرة
٨٢	تزكية/ لماذا شعبان؟
٨٤	سور تحيطه الحكمة
٨٨	تراجم/ المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى
٩٠	أعلام الوعي/ الدكتور حسن هويدي
٩٢	كنوز الوعي/ كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح
٩٤	ينابيع المعرفة
٩٦	بريد القراء
٩٨	مسك الختام/ التواصل الحضاري



تواضع القراءة الألسنية لسورة الفاتحة عند محمد أركون

واعون في الواقع بالنواقض أو نقاط الضعف التي تعترى القراءة الألسنية وبخاصة عندما تطبق على ما يدعى الكتابات المقدسة»^(١).

إن هذا يعني أن النتائج محكوم عليها بالنقصان والضعف سلفاً. وهذا يبرز جلياً حين رجوعنا لقراءته لسورة الفاتحة التي قسمها إلى سبعة مستويات:

المستوى الأول: حيث يميز بين عملية النطق والمنطوقة^(٢)، وهذا وإن كان مسلماً به فإن مع ذلك يجعله فتحاً من فتوح الألسنيات!

النص الأدبي البشر على النص الموحى به، وإلغاء كل مميزات الأخير. كما أنه طالما بشر بالفتوحات الألسنية والخير العميم الذي سنجنه حين نطبق المنهج الألسني على القرآن الكريم. وهنا نتساءل حول مدى صلاحية هذا المنهج لدراسة القرآن. خاصة مع إقرار أركون نفسه بأن المدارس الألسنية لم تبلغ من النضج ما يؤهلها لقراءة هذا الحجم، ويقول: «ومن المعلوم أن مدارس علم الألسنيات هي الآن في طور التشكل والبلورة»^(٣). ويزداد التساؤل والاستغراب حين نجده يقول: «نحن

إن نزوع محمد أركون نحو التفسير التاريخي مادة ومنهج ما هو في الحقيقة إلا تقليد للغرب على مستوى المنهج والرؤيا، ولا يحمل أي إبداع أو تجديد حقيقي. فهو يسقط كل الفلسفات الغربية ومناهجها على النص القرآني معتبراً أن النصوص الدينية ذات طبيعة واحدة، فما فعله الغرب مع الكتاب المقدس حاول استعماله مع القرآن الكريم علماً أن البون شاسع بينهما، فالأول لم يحافظ على لغته الأصلية على عكس القرآن. ينزع أركون إلى إسقاط خصائص

مستوى صائغات الخطاب: حيث تحدث عن المعارف والمحددات فلم يستطع الإتيان بجديد يذكر. بل إنه لم يجد بدا من الاعتراف بفطنة ونبوغ من يسميهم بالمفسرين الكلاسيكيين، يقول: «ينبغي أن نسجل هنا قائلين إن فطنة المفسرين الكلاسيكيين كانت قد لمحت وأدركت الأهمية المعنوية لهذا الاستخدام»^(٤).

كما لم يجد بدا من الاستشهاد بأقوالهم حيث ساق نصا طويلا اقتطفه من تفسير الرازي، ما يجعل القراءة الألسنية تقتات من مائدة المفسرين الكلاسيكيين، بل وتفتقر إليها!

المستوى الثالث: خصصه للضمائر وحاول تحليلها، والجديد هنا هو تسميته للآيتين الأخيرتين بالمتضادة الثنائية، وتسميته الله عز وجل في الآية قبل الأخيرة بالفاعل النحوي المصرح به، وفي الآية الأخيرة بالفاعل غير المصرح به^(٥).

لكن أركون لم يذكر شيئا عن الحكمة من كون الفاعل معلوما هنا ومجهولا هناك! بالمقابل نجد من يصفهم بالكلاسيكيين تبحروا في التفصيل في الإشارات اللطيفة في مثل هذه الصيغ، وبالتالي فما أتى به أركون لا يرتقي بحال إلى ما توصل إليه هؤلاء.

المستوى الرابع: مستوى الأفعال، ولم يخرج كلام أركون هنا كذلك عما قاله غيره مما هو ميثوث في كتب التفاسير. فمثلا نجده يقول عن فعل الأمر «اهدنا الصراط المستقيم»: «لا يمكن أن يشتمل فعلا عن قيمة الأمر، بل العكس، فإنه يوضح الاسترحام الموجود ضمنيا في نعبد ونستعين»^(٦).

وهكذا نلاحظ أن أركون لم يستطع الإتيان بجديد على مستوى المضمون، فأى فتح ألسني هذا الذي يتحدث عليه؟!

المستوى الخامس: مستوى الأسماء. ويعتبر أركون أن دراسة الحقل المعنوي

لكلمات (الله - حمد - صراط - يوم - رب) ينبغي أن يجري على مرحلتين، في الأولى يتم ربطها بالبنى الأصلية للمعجم العربي، وفي الثانية يتم تقييم التحولات المعنوية التي طرأت عليها داخل النظام اللفظي أو المعجمي المستخدم من اللغة القرآنية^(٧).

ونلاحظ هنا أن أركون يسلم باستقلالية لغة القرآن عن لغة العرب على مستوى الدلالة لمصطلحاته مما يضرب القول بتاريخيته في الصميم!

كما أن أركون يسلم بإمكانية الوصول إلى المعاني الدقيقة لمصطلحات القرآن. وهذا دليل قوي على تجاوزه لتاريخية اللغة، وبالتالي فإن الجزم بتاريخيته ما هو إلا وهم من أوهام الحداثة.

وفيما يخص كلمتي (ضالين - مالك) فقد اكتفى أركون بإشارات ثلاث منها قوله: «كلمة مالك تعبر عن الإرادة المؤثرة لفاعل يعتمد عليه استحقاق يوم الحساب والقرارات التي ستتخذ في ذلك اليوم»^(٨).

ولعل هذه الإشارة ونظيراتها دلالة واضحة على ضخامة المقدمات المقترنة بهزلة النتائج المحصلة.

المستوى السادس: حيث عمل أركون على تقسيم السورة إلى أربع وحدات، بالإضافة إلى أن هذا التقسيم ليست له أي أهمية تذكر، فإن أركون ارتكب خطأ حين اعتبر البسمة آية من سورة الفاتحة على خلاف ما هو مقرر عند جمهور العلماء، بل إنه أسس على هذا الخطأ المثال الوحيد الذي حاول به تبين أهمية تقطيعه هذا.

المستوى الأخير: مستوى النظم والإيقاع، وفيه يظهر ضيق قراءة أركون وانسداد أفقها، حيث لم يستطع تجاوز سبعة أسطر لما انتقل إلى متن الموضوع بعد أن قدم له بثمانية أسطر، فتحدث عن القافية «إين» و«إيم» وتعاقيهما، ثم شرع في تعداد حروف الفاتحة!!

وهكذا تنتهي قراءته الألسنية، فلا خيرا عميما أتى به، ولا نتائج بمستوى الهالة التي أعطاها إياها، فكل ما استطاعه تكرار بعض ما توصل إليه الأوائل، على أن هؤلاء كانوا يعدون ما اعتبره أركون فتحا ألسنيا وسائل لا نتائج، بواسطتها اقتحموا مجالات أعمق، فجاءوا بمجموعة من الحكم والإشارات واللطائف تظل القراءات الألسنية بعيدة عنها مسافات كبيرة!

وفي الأخير لا بد من توضيح أن رفض قراءة أركون الحداثية وغيره من الحداثيين ليس مرجعها رفض الاجتهادات الحديثة ورفض كل جديد، أو لأنه توسل بمناهج جديدة، بل لأن هذه القراءات تقوم على الآنية الزمنية، كما تقوم على إسقاطات معرفية ومنهجية وأخطاء أخرى عديدة مما يجعلها تبتعد عن العالمية والموضوعية، وإلا فإنه يمكن أن نجد اجتهادات تفسيرية جديدة تتجاوز القديمة مع التزامها بالمنهج العلمي المسطر، فتطور المناهج والعلوم هو بالتأكيد شيء إيجابي يسعفنا في استنباط أحكام وحكم ولطائف جديدة من القرآن الكريم باعتباره معينا لا ينضب. ولا شك أنه مهما بلغ اجتهاد المفسرين الأوائل فإن من يأتون بعدهم يستطيعون الإتيان بالجديد.

الهوامش

- ١- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. (ص ١٢١).
- ٢- نفسه (ص ١١٢).
- ٣- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. (ص ١٢٥).
- ٤- نفسه (ص ١٢٦ - ١٢٧).
- ٥- نفسه (ص ١٢٦ إلى ١٢٩).
- ٦- نفسه (ص ١٣١).
- ٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني (ص ١٣١).
- ٨- نفسه (ص ١٣٢).



إشكاليات حول بعض معاني أحاديث الصيام والجواب عنها

بالسلاسل، وقريب منه معنى (صفدت الشياطين): أي: شددت وأوثقت بالسلاسل، والصفد الوثاق، والصفد ما يوثق به الأسير من قيد وغل والأصفاد القيود^(٣). قال العلماء في بيان معنى التصفيد:

أ- يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمة ولنع الشياطين من أذى المؤمنين. ب- ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين. ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن بن شهاب عند مسلم: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»^(٤).

ج- ويحتمل أن يكون تصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات^(٥).

٣- وجه الإشكال، والجواب عنه:

الصيام ركن من أركان الإسلام، وله فضائل كثيرة، وقد ورد في فضله وعظم مكانته أحاديث عديدة، وفي بعض منها معان تحتاج إلى توضيح وبيان، ورفع ما يتوهم فيها من إشكال أو لبس، أشير إلى أبرزها كما يلي:

الإشكال الأول:

معنى تصفيد الشياطين؟ وكيف نزيل التعارض بين تصفيد الشياطين والواقع المشاهد من وجود الذنوب والمعاصي من البشر؟

١- الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»^(١). وفي رواية أخرى: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين»^(٢).

٢- معنى تصفيد الشياطين: معنى قوله: (سلسلت الشياطين): أي: قيدت بالسلاسل والأغلال، شددت



وإذا كان هذا معنى التصفيد، فكيف نرى الشرور والمعاصي في هذا الشهر موجودة، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

وأجاب العلماء عن ذلك من وجوه: منها: أن تصفيد الشياطين يعني: عدم تسلطها على من يصومون صوما صحيحا كاملا روعيت فيه كل الآداب التي منها: عفة اللسان، والنظر والجوارح كلها عن المعصية، استجابة للحديث الذي رواه البخاري: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٦).

ومنها: أن المقصود تصفيد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما جاء في بعض الروايات، منها ما جاء عن أبي هريرة بلفظ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن»^(٧)، أما غيرهم فلا يقيدون ولذلك تقع من الناس بعض المعاصي.

ومنها: أنه قد يكون المقصود تقليل

الشرور فيه، فيعصم الله فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب من المعاصي، ولا يخلص إليهم فيه الشياطين كما كانوا يخلصون إليهم في سائر السنة، لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشياطين، وبقراءة القرآن، والذكر. وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره.

ومنها: أنه لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية^(٨). بمعنى أن المعاصي التي تكون بسبب الشياطين تمنع، ولكن تقع المعاصي التي يكون سببها النفوس الخبيثة الأماراة بالسوء أو العادات القبيحة أو شياطين الإنس.

وكله هذه الوجوه محتملة، والحق أن الصيام الذي التزم فيه المسلم بآدابه وواجباته يكون ببعيد عن وساوس الشياطين، وكلما كانت المحافظة على قواعد الصيام

وأصوله والباطنة متواجدة كان تأثير الشياطين ضعيفا أو غير ذي تأثير، والعكس بالعكس.

الإشكال الثاني:

كيف يكون رائحة الصائم أطيب من ريح المسك والواقع غير ذلك؟
أ- الحديث:

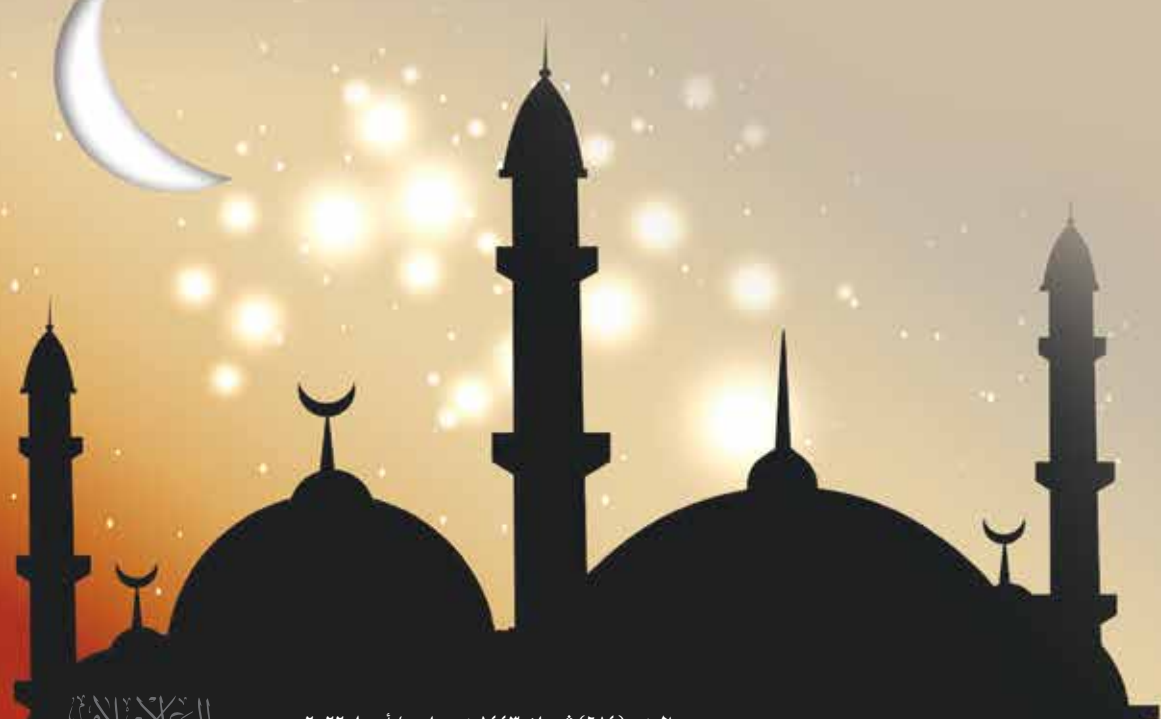
عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»^(٩).

ب - معنى الخلوف:

الخلوف: بضم الخاء المعجمة هو المشهور، وجوز بعضهم فتحها، أي: تغير رائحته. فمعنى الخلوف: تغير رائحة الفم نتيجة الآثار التي تخلفها المعدة وتتصاعد منها الأبخرة عند خلو الطعام^(١٠).

ج- وجه الإشكال والجواب عنه:

اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، مع أنه سبحانه



وتعالى منزّه عن استطابة الروائح، إذ ذاك من صفات الحيوان، ومع أنه يعلم الشيء على ما هو عليه على أوجه:

الوجه الأول: قال المازري: هذا مجاز واستعارة؛ لأن استطابة بعض الروائح من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء فتستطيعه وتتفر من شيء فتستقذره، والله تعالى متقدس عن ذلك، لكن جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله تعالى. والمعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندهم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليهم.

الوجه الثاني: أن الله تعالى يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما يأتي المكوم وريح جرحه تفوح مسكا.

الوجه الثالث: أن المعنى أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا، لا سيما بالإضافة إلى الخلوف وهما ضدان حكاك القاضي عياض أيضا. الوجه الرابع: أن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندهم وهو قريب من الأول.

الوجه الخامس: المعنى أن الخلوف أكثر ثوبا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر.

ورجح النووي هذا الأخير، وحاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا.

الوجه السادس: أن ذلك في حق الملائكة وإنهم يستطيعون ريح الخلوف أكثر مما تستطيعون ريح المسك^(١١).

وفي المجلد قوله: إن الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، فيه أمر بالاستكثار من الصيام، وترغيب فيه، ولذلك خص بخلوف فم الصائم دون خلوف فم غيره، كما أن في مدح الخلوف نهيا للناس عن تقذر مكالمة الصائمين بسبب الخلوف، وقال البغوي: معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله^(١٢).

الإشكال الثالث:

ما معنى المفاعلة؟

١- الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين»^(١٣).

ب- وجه الإشكال والجواب عنه:

استشكل ظاهر الحديث بأن المفاعلة - في قوله: (قاتله أو شاتمه) - تقتضي وقوع الفعل من الجانبين، والصائم لا تصدر منه الأفعال التي رتب عليها الجواب، -وهو قوله: (إني صائم مرتين)- خصوصا المقاتلة.

الجواب عن ذلك من وجوه:

منها: أن المراد بالمفاعلة التهيؤ لها، أي: إن تهيأ أحد لمقاتلته أو أراد أحد مشاتمته، فليقل إني صائم، فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف، كالصائت^(١٤)، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة^(١٥).

ومنها: أن معنى قاتله: دافعه ونازعه، ويكون بمعنى شاتمته ولا عنه، وقد جاء القتل بمعنى اللعن.

ومنها: أن لفظ المفاعلة، وإن كانت أظهر في فعل الاثنين، إلا أنها قد تستعمل في فعل الواحد فيقال سافر

الرجل وعالج الطبيب المريض. ومنها: أن يريد أنه إن وجدت المشاتمة والمقاتلة منهما جميعا، فليذكر نفسه الصائم بصومه ولا يستديم المشاتمة والمقاتلة^(١٦).

ولعل المعنى المراد: هو إن أصر أحد على منازعته بالسباب أو ما أشبهه فليدفع عن نفسه مشاركته في ذلك، بقوله إني صائم، ثم الأخف فالأخف. فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله إني صائم.

فالقول الأول أظهر، ويدل على أنه لم يرد حقيقة المفاعلة قوله في الرواية الأخرى: «شتمه»، وقوله في رواية الترمذي: «وإن جهل على أحدكم جاهل»^(١٧).

واختلف في المراد بقوله فليقل إني صائم هل يخاطب بها الذي يكلمه بذلك أو يقولها في نفسه؟

على قولين: أحدهما: وبه جزم المتولي ونقله الرافعي عن الأئمة: أنه يقول في قلبه لا بلسانه، بل يحدث نفسه بذلك، ويذكرها أنه صائم لا يليق به الجهل والمشاتمة لينزجر بذلك.

الثاني: أنه يقول بلسانه، ويسمعه صاحبه لينزجره عن نفسه، ورجحه النووي في الأذكار وغيرها فقال إنه أظهر الوجهين.

وقال في شرح المذهب التأويلان حسنان والقول باللسان أقوى ولو جمعهما كان حسنا. وأما تكرير قوله إني صائم فليتأكد الانزجار منه أو ممن يخاطبه بذلك^(١٨).

الأشكال الرابع:

ما سر إضافة الصيام لله؟

أ- الحديث:

الهوامش

- ١- البخاري، (٢٥/٣)، رقم: (١٨٩٩).
- ٢- الترمذي، (٥٩/٣)، رقم: (٦٨٢).
- ٣- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (١١٤/٤).
- ٤- مسلم، (٧٥٨/٢)، رقم: (١٠٧٩).
- ٥- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (١١٤/٤)، وما بعدها.
- ٦- مسلم، (٨٠٧/٢)، رقم: (١١٥١).
- ٧- صحيح ابن خزيمة، (٩٠٧/٣)، رقم: (١٨٨٢).
- ٨- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (١١٤/٤).
- ٩- البخاري، (١٦٤/٧)، رقم: (٥٩٢٧).
- ١٠- ينظر: شرح السنة للبغوي، (٢٢٢/٦).
- ١١- ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (١٠٦/٤)، النووي على مسلم، (٣٠/٨).
- ١٢- ينظر: المنتقى شرح الموطأ، (٧٤/٣)، طرح التثريب، (١٠٠/٤).
- ١٣- البخاري، (٣٤/٣)، رقم: (١٨٩٤)، مسلم، (رقم: ١١٥١).
- ١٤- الصيالي الاستطالة والوثوب على الغير بغير حق، ينظر في دفع الصائل وأحكامه: الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٠٦/٢٨).
- ١٥- ينظر: فتح الباري، (١٠٥/٤).
- ١٦- ينظر: المنتقى شرح الموطأ، (٧٤/٣).
- ١٧- ينظر: طرح التثريب، (٩٣/٤).
- ١٨- فتح الباري، (١٠٥/٤)، طرح التثريب، (٩٣/٤).
- ١٩- البخاري، رقم: (١٩٠٤)، مسلم، رقم: (١١٥١).
- ٢٠- مسلم، (٨٠٧/٢)، رقم: (١١٥١).
- ٢١- البخاري، رقم: (١٩٠٤)، مسلم، رقم: (١١٥١).
- ٢٢- الموطأ، (٤٤٥/٣)، رقم: (١١٠٠).
- ٢٣- النسائي، (١٦٥/٤)، رقم: (٢٢٢٠)، مسند أحمد، (٥٥٤/٤)، رقم: (٢٢٢٢١).
- ٢٤- النووي، (٢٩/٨)، فتح الباري، (١٠٨/٤).

كثيرا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقِ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠). والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال.

الوجه الرابع: معنى قوله: (الصوم لي) أي: أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي. قال ابن عبد البر: كفى بقوله: (الصوم لي) فضلا للصيام على سائر العبادات. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له» (٣٣).

الوجه الخامس: قيل: الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه. وقال القرطبي معناه: أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي.

الوجه السادس: قيل هي إضافة تشريف وتكريم، كما يقال بيت الله وناقة الله ومسجد الله وجميع المخلوقات لله.

الوجه السابع: قيل سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة، والسجود، والصدقة، والذكر وغير ذلك.

وفي الإجمال في الإضافة: بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه؛ لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء (٢٤).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به» (١٩).

ب- وجه الإشكال والجواب عنه: اختلف العلماء في سر إضافة الصيام لله مع كون جميع الطاعات لله تعالى، وأجيب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: سر الإضافة أن الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة.

قال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: «يدع شهوته وطعامه من أجلي» (٢٠). الوجه الثاني: قيل: لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ، قاله الخطابي. ويؤيد ذلك قوله في رواية أبي صالح عن أبي هريرة «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» (٢١).

الوجه الثالث: قيل معناه: أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها. قال القرطبي معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق رواية الموطأ: «فالصيام لي، وأنا أجزي به، كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به» (٢٢). أي: أجزي عليه جزاء



عودة سموه متزامنة مع الاحتفال بالأيام الوطنية

أطل الأمير فاكتملت الفرحة

ويحفظكم برعايته، وأن يديم على سموكم موفور الصحة وتتمام العافية ويديم على وطننا الكويت وأبنائه الأوفياء الخير والنماء والتقدم والرخاء في ظل قيادة سموكم الحكيمة (حفظكم الله ورعاكم) وسدد على دروب التوفيق خطاكم». وبعث سمو الأمير رسالة شكر جوابية لأخيه سمو ولي العهد، ضمنها سموه خالص شكره على ما عبر عنه سموه من تهنئة بعودة سموه إلى أرض الوطن العزيز، وعلى ما أبداه سموه من طيب المشاعر الأخوية ومن دعاء صادق بهذه المناسبة، سائلا سموه المولى

الدولة. وقد تلقى صاحب السمو رسالة تهنئة من أخيه سمو ولي العهد، رفع فيها «بالغ آيات التهاني مقرونة بالحمد الكثير، والشكر الوفير لله تعالى أن اطمأنت على صحة سموكم قلوبنا، وشرحت بتمام عافيتكم صدورنا». وهي رسالة تلخص لسان حال كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطيبة. سمو ولي العهد أضاف في رسالته الكريمة: «بهذه المناسبة التي أثلجت بها الصدور وقرّت بها العيون، فإننا لندعو الله في علاه أن يكلاً سموكم بعنايته

مع عودة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد إلى أرض الوطن، بعد قضاء إجازة خاصة خارج البلاد، تكتمل الفرحة بأيام الكويت الوطنية، فأمر العفو أدخل الفرحة إلى القلوب وما زال يدخلها سائرا على نهج الحكام المحفورة ذكراهم في القلوب جزاهم الله خيرا على حسن صنيعهم أجمعين. كان في مقدمة مستقبلي سمو الأمير على أرض المطار، سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد، وسمو الشيخ ناصر المحمد، وسمو رئيس الوزراء الشيخ صباح الخالد، وكبار المسؤولين في



تعالى أن يديم على ولي العهد وافر الصحة والعافية وأن يوفق الجميع لخدمة الوطن العزيز ورفع شأنه، ويسدد الخطى لتحقيق المزيد من الإنجازات التنموية المنشودة على صعيد مساره الحضاري.

ويتزامن وصول سمو الأمير مع فتح برج التحرير أبوابه للجمهور بمناسبة الأعياد الوطنية وذلك بعد مرور ٢٦ عاما على افتتاحه الأول كما بات مسموحا للجميع حجز موعد للزيارة المجانية اعتبارا من يوم الأحد السادس من فبراير ٢٠٢٢م، من التاسعة صباحا إلى الواحدة ظهرا للوفود الرسمية والمدارس بينما في الفترة المسائية للجمهور من الساعة الثالثة عصرا حتى الساعة الثامنة مساء، وفي يومي الجمعة والسبت من الساعة

معه في ٢٦ فبراير من كل عام احتفالات عيد التحرير. وكانت الكويت قد حازت استقلالها في ١٩ يونيو ١٩٦١م في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح، والشباب الكويتي الذي لم يعاصر هذه الأحداث المهمة يتعرف عليها من خلال ما يثار كل عام في الوسائط الإعلامية، بينما يلهو الأطفال ويتشربون منذ صغرهم خصال حب الوطن والذود عنه والاستقلال عن الأجنبي مع حسن التعامل مع الجميع.

الثانية ظهرا وحتى الساعة الثامنة مساء والحجز عبر الموقع الإلكتروني.

من جانب آخر، زينت بلدية الكويت سوق المباركية وساحة الصفاة بالأعلام الوطنية فباتت في أبهى صورة لشحن الهمم واسترجاع صور النضال وتعميق المواطنة، فالعيد الوطني الكويتي عطلة رسمية احتفالا بذكرى استقلال الكويت عن المملكة المتحدة، ويحتفل به في ٢٥ فبراير من كل عام، ومنذ عام ١٩٩٢م تتزامن



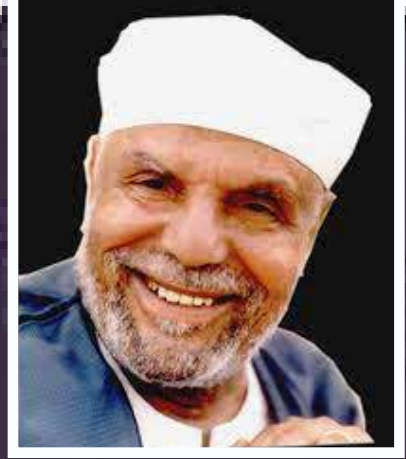
أين خير الإنسان؟

المحاضرة الثانية

الأسئلة؟ إن كل ذلك لا يؤديه العلم التجريبي الذي ينتهي إلى حقيقة علمية مادية رياضية؛ لأن للعلم مهمة واحدة، وهي: أن يعرف كيف تحصل الأشياء، لكنه لا يعرف لم تحصل الأشياء، فالعلم يعرف كيف يتكون الماء من ذرة من الأوكسجين وذرتين من الهيدروجين، ولكنه لا يعرف لم كان تكوين الماء من هذين العنصرين بهاتين النسبتين، وهو يعرف كيف تكون الكهرباء بموجب وسالب ومحرك، لكن هل يعرف ما دور الموجب والسالب في توليد الكهرباء؟ إذن: العلم لا يعرف لماذا ولكنه يعرف كيف، وسيظل قاصرا عن معرفة إجابات الأسئلة: لم خلق الإنسان؟ وإلى أي غاية يسير؟ وإذا كان الإنسان محسنا في مجتمعه لقي مجتمعه منه الخير كله ولو ضر نفسه، وإذا كان غير ذلك لقي مجتمعه منه الشر كله وإن نفع نفسه، أيستوي في عرف العقل أن يكون الذي قدم الخير لمجتمعه كالذي قدم له الشر؟ لا يمكن في عرف العقل العادي أن يكون ذلك؛ لذلك توجب على العقل أن يبحث عن معنى آخر؛ ليصحح هذا المفهوم في ذهنه، وتوجب عليه أن يعلم أن وراء هذه الدنيا دنيا أخرى يجازي فيها صاحب الخير بخيره، وصاحب الشر بشره، ولولا ذلك لكان صاحب الشر أكثر حظا من صاحب الخير؛ لأن صاحب الشر أخذ حظ نفسه وشهوته من دنياه، أما صاحب الخير فقد كبت نوازع

بسم الله الرحمن الرحيم
أحمدك ربي على نعمة الإيمان بك، وشرف الإسلام لك، وكيف لا يكون الإيمان بك نعمة وأنت سبحانه تتحجب إلينا بالنعم وأنت غني عنا، وتبغض إليك بالمعصية ونحن فقراء إليك؟ سبحانه من رب كريم، إذا وعد بالخير وفى، وإذا توعد بالشر عفا، وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:
فقد عرفنا من لقاءاتنا معكم أن الإنسان سيد هذا الكون المخلوق لله، وتتجلى هذه السيادة في إعطاء خير كل الأجناس له، فالحيوان والنبات والجماد يعطونه خیرهم، فأين خير الإنسان؟ ولمن؟ قلنا: إن للجماد والنبات والحيوان مهمات يؤديونها في الكون، وهذه المهمات كلها مرتبطة بخدمة الإنسان، ولما كان الأمر كذلك وجب أن نبحث عن مهمة الإنسان، ونسأل: لم خلق ذلك الإنسان؟ وماذا يعمل؟ وإلى أين يصير؟ أسئلة كان لابد للعقل أن يبحث عن إجاباتها، وإلا كان عقلا تافها معروفا المصير، مقصرا في معرفة حقيقة وجوده ومطلب غايته، ولكن هل للعلم البشري المادي الذي يجري التجربة على المادة المحسنة؛ ليستبطن منها المعلوم من المجهول قدرة على الإجابة عن تلك



محاضرات تربوية وثقافية وتوجيهية أسداها فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث حل الشيخ الشعراوي ضيفا عزيزا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجلة منذ ذاك الوقت حتى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقا للزيارة وللمادة العلمية، العم الفاضل فهد الجار الله رحمه الله تعالى، وجعلها الله في ميزان حسناته، ثم خص ابنه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنشر، في مقالات متسلسلة، لقيمته العلمية والدعوية، ولكانة ملقيها فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، المتوفى سنة (١٤١٩هـ)

ألقى الشعراوي
رحمه الله
محاضرات إيمانية
في العديد من
مساجد الدولة
والجمعيات
الخيرية



بعض
المحاضرات كانت
توجيهية
وارشادية في
الكلية العسكرية
بدعوة من وزير
الدخلية والدفاع
آنذاك سمو الشيخ
سعد العبد الله
الصباح رحمه الله

كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿١﴾؛ أي: أنا

الخالق وحدي، أخبركم بالحقيقة وطبيعة الخلق؛ لذلك وجب أن تأخذوا كل ذلك مني، وتعرفوا مني لم خلقتكم؟ وكيف خلقتكم؟ وماذا يطلب إليكم؟ وإلى أين تصيرون؟ وربما يسأل الناس: من الذي يبلغنا هذه الأجوبة وتلك الحقائق عن الله؟ أيجيء أي إنسان ليقول: إنني جئت لأجيبكم عن هذه الأسئلة: خلقتكم لكذا، وعلى كيفية كذا، ومطلوب إليكم كذا، وتصيرون إلى كذا؟! آياتي واحد من الشارع ليخبرنا بهذه الأجوبة؟ لا، والحق أن الدعاوى كثرت، وإن لم تقم عليها الأدلة فأهلها مدعون كاذبون، فكيف يحل ذلك للغز؟ لابد أن يحل بشيء يحكم به العقل؛ لأن الذي جاء بالأجوبة وادعى أنها من عند الله وأنه مبلغ بحق عنه صادق في هذه الدعوى، ولكن كيف يصدق والكون فيه نواميسه^(١) وقوانينه؟! فالنار تحرق، والماء يروي، والضوء ينير للعين كي ترى الأشياء، والله يقول في مخلوقاته: ﴿وَالْقَمَرُ

قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ

﴿٢١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس: ٣٨-٤٠)، فكل

ذلك ناموس وقانون يسير عليه الكون، لا يتخلفان أبدا، فإن أبطأت الشمس

نفسه وشهواتها، وضحي بكل صحة وعافية وأمن واطمئنان في سبيل خير الناس، ولو لم يكن للأمر غاية محاسبة لكان الشرير أفضل من الخير؛ لأنه أخذ حظه وممتعته، وانتهى أمر كل شيء. ما الذي يدلنا على كيفية خلقنا، ولم خلقنا، وإلى أين نصير، ومن خلقنا؟ تلك الأسئلة لا يهدي إليها العلم التجريبي أبدا، والذين يحاولون أن يعرفوا كيفية خلق الإنسان والسموات والأرض من أشياء لم تدخل في نطاق حسهم إنما هم واهمون؛ لأن ذلك ليس موضوع العلم الذي لا يوجد حقيقة علمية إلا على شيء مشاهد محس، ويقول الحق

في ذلك: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ

مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾﴾ (الكهف: ٥١)،

فالذين يقولون: خلق الإنسان بالطبيعة والمصادفة، وانفصلت الأرض عن الشمس يضربون ضربا في شيء لم يشهدوه، ولم يعرفوه، ولم يحسوه؛ لذلك

يرد القرآن على مثل هؤلاء بقوله: ﴿وَمَا

كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥٢﴾﴾؛ المضلون:

الذين يصرفون الناس عن حقائق ما يقول الدين إلى خرافات ما يستنتجه الظانون المتوهمون ما وراء الطبيعة

والمادة، ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا

عن سيرها، والأرض في دورانها اختل ميزان التقويم اليومي والسنوي، ولم تمتنع الشمس عن إشراقها على الناس يوما وفق مزاجها، والقمر كذلك أيضا، فكل شيء في الكون سائر بناموس محكم دقيق، ولا خيار لمن جرى عليه الناموس في مخالفته، إذن: فلتستثمر هذه الحقيقة لإثبات صدق من ادعى التبليغ عن الله ما دام الناموس يسير سيرا آليا، ولا يمكن أن يخرج عن قانونه وطوره، هل الناموس فعل ذلك لأن خالقه أعطاه هذه الخاصية؟ خالق الناموس ومعطيه هذه الخاصية هو الذي يستطيع أن يعطل الناموس، ويخرق القانون، ويأتي بأمر معجز في الكون يجريه على يد إنسان من البشر؛ ليقول: أنا رسول مبلغ عن الله، ودليلي في صدقي أن الله خرق على يدي الناموس الكوني، فلا بد للعقل أن يلتفت لبحث عن بشري يستطيع أن يخرق الناموس، وليس في العالم من يمكنه فعل ذلك بقدراته البشرية، فكيف خرق الإنسان الذي يدعي النبوة الناموس ما دام البشر لا يستطيعون ذلك؟ إذن: لاشك أن الذي خرق الناموس خالقه، وذلك الرجل صادق في التبليغ عن الله؛ لذلك كان لابد لكل مدع رسالة أن يأتي بحجة بين يديه تثبت صدق التبليغ، لكن كيف يجيء بالحجة؟ وبأي حجة يجيء على القوم؟ إنه لا يفاجئ القوم، ولا يبيغتهم، ولا يأتيهم بأمر لا يعرفونه، ولكن كل رسول يأتي بمعجزة من جنس ما نبغ قومه فيه وبرعوا؛ حتى لا يقول القوم: لو اشتغلنا بهذا اللون لأتينا بمثل ما أتى به ذلك المدعي، فلا بد أن يكون موضوع المعجزة من جنس ما نبغ فيه القوم نبوغا يشهد له التاريخ وتشهد له الدنيا.

وخرق الناموس: إخراجه عن طبيعته الفاعلة بقدرة الله، فانت بوصفك إنسانا لك قانون، وللقانون، أنت تملك أن تطلق قانونك أو لا تطلقه؛

ولكنك إذا أطلقته لا تستطيع بعد ذلك أن تتحكم فيه أبدا، مثلا: لدينا إنسان يجيد التصويب نحو الهدف، فيمسك بندقية صالحة للاستعمال، فيها رصاصة، ويعرف كيفية التسديد، هو حر في أن يطلق الرصاصة على الهدف أو لا يطلقها، ولكن إذا صوب فوهة البندقية إلى الهدف ثم أطلق الرصاصة فليست له قوة في أن يرد فعل القانون، وليس له قوة تقول للرصاصة -وقد خرجت إلى الهدف-: لا تصيبي الهدف. لا يستطيع البشر ذلك؛ لأنهم يتحكمون في إطلاق القانون وعدمه فقط، لكنهم إذا أطلقوا القانون فليس لهم أن يتحكموا مطلقا في أن يعطلوا ذلك القانون عن مهمته، ومثال ذلك أيضا: أنت تملك -ومعك كوب- أن تطفئ النار أو لا تطفئها، لكن ليس في قانونك أن تصب الماء على النار فلا تنطفئ، إذن: فالبشر يملكون إطلاق قانونهم أو عدم إطلاقه، أما إذا أطلقوه فلا يستطيعون أن يتحكموا فيه، ولكن حين يخلق الحق عز وجل القانون والناموس يتحكم فيهما بعد إطلاقه، وهذا هو الفارق بين القانون عند الحق والقانون عند الخلق، وبهذا تأتي المعجزة، وهنا نضرب أمثالا:

أكان مراد الله سبحانه نجا إبراهيم من النار؟ لو كان ذلك لقدرة الله ألا يتمكن القوم من إبراهيم، أو قدر حين أخذوا إبراهيم ليلقوه في النار أن يرسل سحابة ممطرة، فتمطر على النار فتطفئها، ولكن ذلك ليس مراد الله، إنما مراده التحدي للناموس، والنار التي أوقدت، والتي يحكم الخلق بأنها لابد حارقة إبراهيم أرادها الله أن تظل نارا، وأن يلقي إبراهيم فيها دون حاجز، ولكنه يعطل قانون الإحراق في النار، فيقول: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَلَامًا﴾ (الأنبياء: ٦٩)، لم يقل: قلنا: يا نار انطفئي، لا، بل ظلي نارا ليراك

الناس نارا، وليلق إبراهيم في النار وهي نار، ولكن يا نار أنا خالقك، وأنا واهبك قوة الإحراق، أنا أمرك بأن تتعطل فيك قوة الإحراق وأنت نار، ما إن تنطفئي ينطفئ معك القانون، فلا تكون هناك حجة. وربما قال القوم: لو لم تنطفئي النار لأحرقت إبراهيم، ولو لم يهرب إبراهيم من القبض عليه لأحرقتاه؛ والحق يقول: اقبضوا على إبراهيم، وأحكموا وثاقه، وأوقدوا النار، وألقوه فيها، وأنت يا نار ظلي نارا في أعينهم، وبقانونهم وناموسهم، ولكن فلتتعطل فيك قوة الإحراق، ودليل ذلك

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، فتلك هي المعجزة التي تثبت صدق الرسول في التبليغ عن الله؛ لأن الله أجرى عليه أمرا لا يمكن لبشر أن يجريه أبدا.

نضرب مثلا أيضا: موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرسل، خرج بقومه من مصر، ثم أدركه فرعون وجنده، فكان البحر أمامهم، والعدو من ورائهم، وقانون البشرية واضح في مثل هذه الحالة، وهذا ما غلب على

ظن قومه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ

مُوسَىٰ إِنَّ لِمُدْرِكُونَ﴾ (الشعراء: ٦١)

بقانون البشر مدركون لا محالة، قال لهم موسى بملء فيه: كلا. أيقول موسى ذلك في موقف لا يأمن أن يكذب فيه بعد دقيقة واحدة؟ إنه قال: كلا. برصيد من أرسله وقدرته، ولم يقل: كلا. برصيد البشر وهو مشترك معهم فيه، ولكنه لا يتعامل مع عدوه بهذا الرصيد، وإنما يتعامل معه برصيد من أرسله مبشرا ونذيرا؛ لذلك قال بملء فيه -وهو واثق-: كلا. ثم لفتنا إلى الحبيشة التي دعته ليقول: كلا. فقال: ﴿إِنَّ مَعَ

رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (الشعراء: ٦٢)؛ أي: أنا

لا يمكن أن تؤخذ
أجوبة هذه الأسئلة
من العلم التجريبي؛
لم خلق الإنسان؟
وكيف خلق؟ وماذا
يصنع؟ وإلى أي
غاية يصير؟

حين يخلق
الحق عز وجل
القانون والناموس
يتحكم فيهما
بعد إطلاقه،
وهذا هو الفارق
بين القانون عند
الحق والقانون
عند الخلق

هناك، فنجأ موسى وقومه، وهلك
فرعون وقومه، وتلك هي المعجزة.

وقد أتى بمعجزة أخرى قبل ذلك، هذه
المعجزة أيضا من جنس ما نبغ فيه
القوم، وهو السحر، ولكن يجب أن نوقن
أن المعجزة من موسى ليست سحرا،
وسنبين الفارق بين أن تكون المعجزة من
نوع النبوغ القومي أو هي فرد منه، فقوم
فرعون شهبوا بالسحر؛ لذلك أراد الله
سبحانه وتعالى أن يأتي على يد موسى
بمعجزة من جنس ذلك؛ لأنه -كما قلنا-
لو جاء بمعجزة لم يعرفها القوم لردت
الدعوى، وقالوا: لم نتعلم هذه المسألة،
ولو تعلمناها ودرينا عليها لغلبناه، لذلك
تأتي المعجزة من جنس ما تعلموه ونبغوا
فيه؛ حتى تكون أهلا، ويكون معناها
التحدي، وكذلك أراد الله أن يغلب
موسى بمعجزته سحر قوم فرعون،
ولكن قبل أن يصنع الله معه ذلك أراد
أن يطمئنه، فصنع له تدريبا دون مشهد
من الخصوم الذين سيرسل إليهم؛ حتى
يتأكد موسى من صدق نجاح التجربة
حين يجريها مع سحرة فرعون؛ لأن الله
لو قال له: اذهب إليهم وألق عصاك
فستلقف ما يأفكون، ربما خاف موسى
إن ألقى العصا أن يخيب، فأراد الله أن
يجري له تدريبا أمامه، فقال له: ﴿وَمَا

تِلْكَ سِيمِينِكَ يَمُوسَى ۝١٧﴾ قَالَ هِيَ

عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى

غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ۝١٨﴾ (طه: ١٧-١٨)، قال الله: هذا مدى

علمك بها، ولكن ﴿أَلْقَهَا يَمُوسَى ۝١٩﴾

فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝٢٠﴾ (طه: ١٩-٢٠)، وهنا تتجلى دقة التعبير

القرآني اللافت: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ

خِيفَةً مُّوسَى ۝٦٧﴾ (طه: ٦٧)، وهذا الخوف

دليل على أنه رأى العصا انقلبت حية
بالفعل، وطبيعة السحر غير ذلك،
فإذا ألقى الساحر العصا يراها عصا

لست متروكا لقوم فرعون، وقوتهم
البشرية؛ لأن معي ربي، وليس لهم رب
لهم معية معه، لذلك قال: كلا. بصدقها
وحيثياتها ورصيدها، وقد صدقه الله
ما قال، فصدقته في قوله: كلا. وصدقته
في قوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٨﴾، ثم

خرق له الناموس، وقال له: ﴿أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۝٦٩﴾ (الشعراء: ٦٩)، إن

ناموس البحر قانونه السيولة، والسيولة
هي الاستطراق، ومعنى الاستطراق:
أن السائل لا يكون عاليا في مكان
ومنخفضا في مكان آخر، لا بد أن
يستطرق من العالي إلى المنخفض حتى
يتساوى السطح، وقد ضرب موسى

بعصاه البحر، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ۝٧٠﴾ (الشعراء: ٦٩)،

وهنا تكمن عظمة المعجزة، فالماء اللين
السهل الرخو ينقلب إلى طود عظيم؛
أي: جبل، أرايتم مائين يقفان كالجبل،
وبين المائين سرداب وطريق يابسة؟!
ذلك ليس في قانون البشر، وإنما هو
قانون من خلق الناموس، وقد عطله
الله بقدرته، لما أمر الماء وقال: ياماء
ليتعطل ناموس الاستطراق فيك،
ولتتعطل السيولة، وليجمد الماء جمودا
كأنه الطود، وبعد ذلك يمشي موسى،
فإذا ما انتهى إلى الجهة الأخرى
تبعه فرعون، وأراد موسى أن يقطع
عليه الطريق، ويضرب البحر بعصاه
ليعود إلى الاستطراق، فلماذا رجع
إلى احتياط البشر، ولم يزل في قوله:

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٧١﴾، يطمئنه

الله، ويأمره فيقول له: دع البحر كما
هو، فإنني أريد أن يغتر فرعون وقومه
بالبيس، وأن يسيروا خلفك ليلحقوك،
فإذا ما كان أولهم عند آخرك أرجعت
الماء إلى قانونه فغرقوا، وبذلك يكون
الله قد أنجى وأتلف بالشئ الواحد،
فغطل القانون هنا، وأرجعه إلى سيولته

بطبيعتها الحقيقية، ويراها غيره حية؛ لأن السحر لا يغير حقيقة المسحور، وإنما يسحر أعين الناظرين؛ لذلك يقول القرآن بدقة بالغة: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦)، ويقول: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصَتْهُمْ يَحْيَىٰ إِلَهُهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦).

فالله صنع التجربة بينه وبين موسى؛ حتى يذهب إلى فرعون وهو واثق تمام الثقة أنه حين يلقي العصا ستلقف ما يأفكون؛ لأن التجربة أجريت بينه وبين ربه، وقد ذهب ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الشعراء: ٢٨)، وبعد ذلك قال: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (الشعراء: ٤٣)، فآلقوا حبالهم وعصيتهم على طريقة هؤلاء في السحر، فخيّل للناس أن الحبال والعصي حيات تسعى، ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الشعراء: ٤٥) فهل ابتلعت عصاه الحيات التي كانت تخيل للناس من العصي والحبال، أم أظهرت الحيات والحبال على حقيقتها للناس؟

فالله الحق قال: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، فهم لم يحولوها حقيقة، إلا أنهم خيلوا للناس أن الحبال والعصي حيات، وحين نزلت العصا المعجزة عادت الحبال والعصي في نظر المسحورين والسحرة أنفسهم حبالاً وعصياً على حقيقتها، فكأن موسى حين رمى عصاه لقف ما صنع القوم من السحر، وما هو إلا تخيل فقط، ففوجئ السحرة؛ لأن هذا مخالف لما هم عليه من فن السحر؛ ولذلك قال القرآن بدقته وروعة أدائه: ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبَّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه: ٧٠)، عجباً، لماذا لم يقولوا: آمنا بموسى. مع أن موسى أمامهم، وهو الملقى، ولم يروا ربه؟ لقد علموا أن هذه العملية ليست عملية بشر؛ لأن عصاه

بقيت حية، وكل حبالهم وعصيتهم علمت أنها حبال وعصي، وهم بذلك ما غلبوا بسحرتهم بمفهوم التفوق البشري، إنما هذه صنعة فوق صنعة البشر، جعلتهم يتعدون الإيمان بموسى إلى الإيمان برب موسى وهارون، تلك هي طبيعة المعجزة.

وكذلك رسول الله ﷺ نبغ قومه في الفصاحة والبلاغة، فجاء القرآن من جنس البلاغة والفصاحة، فالمعجزة هي دليل صدق التبليغ عن الله، فحين يجيء بشر ويقول: أنا مبلغ عن الله، ودليلي في ذلك ما يجريه الله على يدي مما لا يستطيع البشر أن يخرقوا فيه الناموس، والبشر لا يخرقون النواميس، لذلك أنا صادق في التبليغ عن الله، ولكن معجزة كل قوم كانت تأتي على قدر مهمة رسالة الرسول، والرسالات قبل محمد ﷺ كانت محدودة في الزمان والمكان، وأي رسالة ليس لها ثبوت وخلود كانت معجزتها على قدرها، ومعنى ذلك: أنها كانت معجزة كونية محسنة مرئية، تقع مرة واحدة، فمن رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها فهو حر في تصديقها، إن صدق المخبر بها.

ولولا أن القرآن قص علينا هذه المعجزات -والقرآن صادق- لكنا استطعنا أن نقول: إنها لم تحصل؛ لأنها حصلت أمام قوم، فمن رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها كان تصديقه بها وفق تصديق من أخبر وتوثيق كلامه، لكن معجزته ﷺ نظراً لأنه بعث للناس كافة في امتداد الأزمنة والأمكنة إلى أن تقوم الساعة، فليس للسماء إرسال بعد محمد، وليس لبشر أن يستقبل شيئاً بعد محمد، فمحمد آخر من أرسل إليه، وآخر من استقبل عن السماء -لا بد أن تكون لها طبيعة تناسب العمومية غير المحدودة في الزمان والمكان، وتكون باقية بقاء رسالته، فالذي يقول: محمد رسول الله، وهذا القرآن هو معجزته الباقية إلى الآن بنصه المحافظ عليه

في السطور والصدور، هذه معجزة في زمانه، وإلى قيام الساعة يستطيع أي إنسان تابع لمحمد أن يقول: محمد رسول الله، وتلك معجزة. فمعجزة محمد ليست من جنس المعجزة الكونية التي تقع مرة واحدة، ولكنها من جنس المعجزة الباقية التي يستطيع كل إنسان في أي زمان ومكان أن يمد يده بالمعجزة ليقول: تلك معجزة محمد، ولكن أيسطيع يهودي أو موسوي أن يقول: هذا موسى رسول، وتلك معجزته؟ ما هي معجزته، وأين هي؟ لا وجود لها، كذلك معجزة عيسى لا وجود لها في زماننا؛ لأن الرسالة ليس لها امتداد في زمان أو مكان، فتلك ميزة امتازت بها معجزة سيدنا محمد ﷺ، وهي عين منهجه أيضاً، وقد كانت معجزة كل رسول غير منهجه؛ فمعجزة موسى العصا وكتاب منهجه التوراة، ومعجزة عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، ومنهجه الإنجيل، فالمعجزة شيء والمنهج شيء آخر، وقعت المعجزة مرة وانتهت، وبقي المنهج غير محروس بمعجزة، أما محمد ﷺ فمعجزته القرآن، ومنهجه القرآن، وحين نقول: هذا منهج رسول الله ومعجزته فقد ظلت المعجزة مع المنهج لتحميه، وظل المنهج مع المعجزة ليحفظ، وبذلك كان امتيازها بشيء آخر؛ إذ حفظ المنهج في نطاق المعجزة، ومعنى ذلك أن المعجزة من صنع الله، وما دامت كذلك فلا دخل للبشر فيها أبداً، فقد خالف القرآن مناهج الرسل السابقين؛ لأنه معجزة ومنهج معا، والمعجزة من فعل الله، وليس للبشر دخل فيها؛ لذلك طلب إلى أتباع الكتب القديمة التي تحمل مناهج الرسل أن يحافظوا عليها، وهذا الطلب منهج تكليفي معناه رسالة لأتباع كل رسول: أن حافظوا على كتاب منهجه. وما دام الطلب تكليفاً من الله للمكلفين فهو عرضة لأن يطاع أو يعصى كأي تكليف من الله، فكأن حفظ الكتب السابقة

التي تحمل مناهج الرسل السابقين كان أمرا تكليفيا، ومعنى الأمر التكليفي: أن الله طلب إلى أتباع كل نبي أن يحافظوا على كتاب منهجه، فإما أن يطاع، وإما أن يعصى، وقد عصي ذلك الأمر، فلووا ألسنتهم بالكتب، وصاروا ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: ١٣)، وكتموا

بعضه، وزادوا عليه، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: ٧٩). وقد كان ذلك؛ لأن الحفاظ على الكتب كان طلبا تكليفيا من الله، فأدت تلك الأمم بعض التكاليف، ولم يؤدوا بعضها الآخر، وكان حفظ الكتب مما لم يؤدوه؛ لذلك حرفت الكتب، ونظرا لأن معجزة رسول الله ﷺ هي عين منهجه، والمعجزة من فعل الله لا دخل للبشر فيها، فإن الحق سبحانه وتعالى لم يكل لأمة محمد أن تحافظ على القرآن،

لذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩): أي: ارفعوا أيديكم عنه، ونحن لن نوكل حفظ القرآن إليكم أبدا؛ لأنه معجزة، ولأن السابقين اتتمنوا على كتب مناهجهم، فلم يؤدوا الأمانة، وما دام هذا المنهج معجزة فلا دخل لبشر فيه، أنا الذي أنزلته وأنا الذي سأحفظه. ولكنه يقول

في الكتب الأخرى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِينَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٤)، ومعنى استحفظوا: طلب منهم أن يحافظوا، ولم ينتف الطلب، لكن الله قال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر: ٩). ومن العجيب بعد ذلك القول أنك تجد في أمم الإسلام خطين متناقضين تمام التناقض: الأول: خط في ناحية توثيق القرآن، والتمكين من حفظه، واستظهاره حفظا في الصدور، وكتابة في الأوراق، وتسجيلا على الأشرطة، وهو توثيق ما بعده توثيق، لكن الناس مع كل ذلك بعيدون منه بوصفه منهجا.

والثاني: خط في ناحية المحافظة على القرآن، فالناس مقبلون على المحافظة عليه، ولو أنهم كانوا متبعين منهجهم، غيورين على دينهم لقلنا: حفظهم القرآن غيرة على الدين، وتمسك به، لكنهم متهافتون من ناحية مناهج الدين، ومقصرون من ناحية مذاهب الدين، ويتحللون من أمور دينهم كل يوم، فما بال القرآن عندهم يكثر توثيقه، ويتوثق يوما بعد يوم، ويطلع في أحجامه المختلفة؛ فمرة يطبع في صفحة طولها متر، ومرة في فص خاتم، ومرة في صفحة واحدة، ويوثق على الأسطوانات، وفي الأشرطة؟ هذه عناية تدل على أن ذلك أمر من صنعة الله وحده، بدليل أن المسلمين الذين يتحللون من أمور دينهم ويغفلون عنه بوصفه منهجا لم يستطيعوا أن يغفلوا عنه بوصفه معجزة، ولذلك سيظل القرآن حجة علينا.

كنا قد طرحنا سابقا الأسئلة الأربعة: لم خلق الإنسان؟ وكيف خلق؟ وماذا يصنع؟ وإلى أي غاية يصير؟ وقلنا: لا يمكن أن تؤخذ أجوبة هذه الأسئلة من العلم التجريبي؛ لذلك لابد فيها من خبر من خالق الإنسان نفسه، فهل نعرف هذا الخبر من الكتب القديمة، وقد حرفت، ولويت بها الألسنة، وكتم بعضها، وزيد

عليها؟ وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو

عَنْ كَثِيرٍ﴾ (المائدة: ١٥)، فمن أي كتاب نأخذ أجوبة الأسئلة السابقة؟ الأجوبة تكون من مثل: أنا خلقته لكذا، وبكيفية كذا، وأطلب إليه كذا، وهو صائر إلى كذا، وهذه أمور غيبت عن علم البشر وعلم حقيقة المادة؛ لذلك يقول بعض المنصفين من الفلاسفة: أنا لست بحاجة إلى المعرفة لأؤمن، ولكني بحاجة إلى الإيمان لأعرف، فالإيمان يعلمهم الأمر غير المحسوس، الذي هو وراء الطبيعة، والذي لا يخضع لتجربته الحسية والمادية، فحين يأتي القرآن ليشرح كيفية خلق الإنسان، ويشرحها بمنتهى الوضوح، ثم لا يشرحها فقط، ولكن يترك في الكون دليلا ماديا من جنس ما وكل إلى القوم من العلم التجريبي على المحس، فمجال عمل العقل الإنساني التجربة على المحس، والمادة الصماء التي لا يملك التحكم فيها؛ لأن العالم لا يدخل معمله بهواه، فالمادة الصماء تتحكم، والآلات تأتي بالنتيجة، وما تنتهي إليه التجربة يكون حقيقة علمية؛ لذلك لا غرابة في أننا لا نرى كهرباء أمريكية وكهرباء روسية، فذلك علم تجريبي محكوم بالمادة.

ورأينا في المذاهب النظرية الأخرى التي لا تحكمها مادة اختلافا في المنهج، فهذا رأسمالي وذلك شيوعي، فلماذا لم يتفقوا هنا كما اتفقوا هناك؟ لأنهم في الأولى محكومون في العلم التجريبي الذي لا يجامل، وفي الثانية أحرار يتكلمون بأهوائهم، وما داموا أحرارا يتكلمون دون منطق علمي تجريبي فلتختلف الآراء، وليكن هذا رأسماليا، وهذا خير المبادئ، وهذا شيوعيا، وهذا خير المبادئ، ولم يكن لهم علم مادي مختلف؛ لأن المادة في الأولى حكمتهم، والأهواء في الثانية فرقته.

ومن العجيب أن اتفاقهم في الأولى أفسد ثمرته اختلافهم في الثانية؛ لأن اختلافهم في الثانية سخر ما أنتجه العلم المادي الرياضي في سبيل الحمل والإكراه على المبادئ النظرية الظنية

الوهمية التي تتبع الهوى، والنتيجة: خسارة المجتمع الإنساني كما نرى، فما دامت المسألة لا يجاب عنها بعلم محس فلنأخذ العلم ممن خلق، وتحديدًا من الكتاب الذي ثبت بالدليل والبرهان أنه صادق محافظ عليه، وهو آخر الكتب؛ لأنه جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه؛ فهل كذب الكتب قبله أم لا؟ الصحيح أنه مستدرك ما فيها، والجواب الصحيح لا يكون إلا في هذا الكتاب، وهنا مسألة أخرى، فإذا قال الحق: أنا خلقتك -أيها الإنسان- مرة من ماء، ومرة من تراب، ومرة من طين، ومرة من حمأ مسنون، ومرة من صلصال كالفخار. سيقول المستشرقون بعد أن يقرؤوا هذا الكلام: إن هذا القرآن متضارب. فيقول: إنه خلق مرة من تراب، ومرة من طين، ومرة من حمأ مسنون، ومرة من صلصال كالفخار، ومرة من نطفة، كلام فيه تناقض، وما علم ذلك الجاهل أن الشيء المتسلسل عن شيء لا يتناقض أوله مع آخره، وهذه قضية منطقية، فالتراب عندما يسكب عليه الماء يصير طينا، وعندما يظل مدة حتى يتفاعل ويتخمر وينتن يصير حمأ مسنونًا، فإذا ترك حتى ينضج كالصلصال يصير فخارًا، فكل آية ذكرت في القرآن تدل على مرحلة من مراحل الخلق، فلا تقل: ذلك تناقض. وإنما هي مرحلة من مراحل الخلق، ولو أن القرآن ذكر مرحلة بغير موضعها لكان فيه تناقض، ولكن أن تذكر المراحل مرحلة بعد مرحلة فلا يقال عن هذا: تناقض. وبعد ذلك يأتي الحق سبحانه وتعالى فيعطينا الدليل اليقيني على صدقه في إيجاد الحياة، وهو الموت، فإذا مات الميت خرجت روحه، آخر شيء نفخ فيه، فالآخر خرج أولًا؛ لأن الذي يذهب إلى مكان ما ويرجع يكون آخر ما وصل إليه أول ما يصل إليه في الرجعة، وإذا ذهب ثم ارتد يكون أول ما يصل إليه في الارتداد آخر ما وصل إليه في الذهاب،

فالحياة انطلاق، والإنسان كذلك، بدأ طينا، فحمأ مسنونًا، فصلصالًا كالفخار، ثم نفخت فيه الروح فصار، وعند الموت يكون أول ما يخرج آخر ما دخل، فإذا ما خرجت الروح تصلب الجسم لصلصال كالفخار، وبعد أن يتصلب تعفنه الرمي كما يقول الأطباء، ومعنى التعفن: الاختمار، وبعد التعفن ينتن هذا الحمأ المسنون، وبعد ذلك يتبخر ما فيه من الماء الذي جعل التراب يصير طينا، وبعد ذلك تتحلل العناصر إلى أن تصبح إلى الأرض التي خلق منها، فالله جعل الوضع في الحياة دليلا على صدق الحق في الموت، ونحن لم نشهد هذه الحياة، ولكننا نشهد الموت بالتجربة، فنستدل بما نشهد من طريقة الموت على صدق الله فيما لم نشهد من طريقة الحياة.

نحن قلنا: إن الإنسان حين يذهب عقله إلى أسئلة تحيره ليطلب الجواب عنها، لا يجد في العلم التجريبي المحس ما يجيبه عن هذه الأسئلة: كيف خلق؟ ولم خلق؟ وماذا يصنع؟ وإلى أين يصير؟ وهذا طبيعي؛ لأن ذلك ليس موضوع العلم التجريبي، فمن أين يأخذ الجواب؟ لا بد أن يكون الجواب من الخالق، ولكن هل يكلم الخالق كل واحد وحده؟ لا، بل يرسل رسولا ليقول ذلك القول، ويجب أن يكون معه علامة تدل على أنه صادق في التبليغ عن الله، فجاءت المعجزات والمناهج السابقة التي أصابها تحريف وتحويل وكتمان ونسيان، فهل نأخذ منها بوصفها مصدرا؟ طبعًا لا، بل نأخذ من الكتاب الذي جاء مهيمنًا على هذه الكتب، مصدقًا للحق فيه، ومهيمنًا على الباطل فيه، ومصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، فحين نذهب إلى القرآن الذي حفظه الله ولم يستحفظ عليه البشر، وهو المعجزة الباقية على خلاف معجزات الرسل، فنجد أنه تكلم عن خلق الإنسان وكيفية خلقه، ومم خلق، فقال: إنه خلق من تراب،

ثم من طين لازب فيه عنصر الماء، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه الروح، فهل يكون المستشرقون على حق حين يقولون: إن هذا تناقض؟! نقول لهم: لا؛ لأن الشيء المتسلسل إلى حلقات ليس فيه حلقة تناقض حلقة، فالحلقة تناقض الحلقة إذا كانت مقابله، أما إذا كانت تالية لها أو سابقة عليها فلا تكون مناقضة، والحياة مراحل متعاقبة لم نشهدها، يشاء الله أن يجعل الدليل على صدق قوله فيها هو الموت الذي نشهده، فبالموت تخرج الروح، والروح آخر ما دخل في ذلك الجسم الذي هو صلصال كالفخار، وبعد خروج الروح، يتصلب الجسم ثم يرم^(٢) ويتعفن، وينتن إلى حمأ مسنون، وبعد ذلك يتبخر الماء ثم تصبح العناصر إلى أمها الأرض من حيث جاءت، وبهذا يكون الله قد أعطانا بالموت المشهود صدقه دليلًا على مراحل الحياة التي لم نشهدها، وما دام القائل قد صدق فيما نعلم ونشهد ونجرب، فقد صدق فيما لم نعلم ونشهد ونجرب، فهو محكوم له بالصدق؛ لأن من صدق فيما تعلم لا تستطيع أن تكذبه فيما لا تعلم، وكذلك شأن الحق سبحانه وتعالى في خطاب البشر، فهو لا يخاطبهم بالأمر الغائب عنهم أو المختلف فيه، وإنما يأتي بالحجة من جانب الأمر المتفق عليه، فكيف يكون ذلك؟ نحن خضنا مع عدونا حرب (١٩٦٧م)، وادعينا أننا نحارب ونجاهد في سبيل الله وفق مبدئه وإعلاء لكلمته، وتلك دعوى، وربما جاء أحدهم فقال: لا، لم يكن جهادا في سبيل الله، فقد كان في رؤوسكم مبادئ تريدون لها أن تتجج، نحن نقول: كنا في سبيل الله. وهو يقول: لا، كنتم في سبيل مبادئكم. يقول ذلك؛ لأنه ناقش المسألة من هذه الزاوية، ونحن إنما ناقشنا من جهة الأمر المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه، والحق عزوجل يطلق قضية عن جنده، فيقول: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا

لَهُمُ الْعَلِيُونَ ﴿١٧٢﴾ (الصافات: ١٧٢)، فهل

يأتي أحدهم فيقول: لا علاقة لدخولك في سبيل الله أو سبيل مبادئك، وهذا ليس موضع بحثنا؛ لأنه مختلف فيه؟ ويستمر الجدل، فيسألنا: أغلبتم أم لا؟ ونجيبه: بل غلبنا. فيقول: فأنتم لستم من جنود الله؛ لأن الحق الصادق قال:

﴿وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَلِيُونَ﴾، فما دمت لم

تغلبوا فابحثوا في أنفسكم؛ لأنكم لم تكونوا من جنود الله، ولو كنتم منهم وغلبتم فمعنى ذلك أن القرآن كاذب؛ لذلك لا يناقش الأمر المختلف فيه من جهة الاختلاف، بل من جهة الاتفاق، فالمغلوب لا يستطيع أن يقول: غلبت، وهو مغلوب، ما دام مغلوبا فهو ليس من جند الله، وعليه أن يبحث في نفسه، لذلك يعرض القرآن هذه القضية مع الصادقين مع أنفسهم، لا مع المكابرين، يقول الله: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، فكأنه

أصابهم شيء وما ضعفوا، وكأن قوة كانت تريد إزلالهم فما استكانوا، أفهم في جانب الضعف هنا أم في جانب القوة؟ لاشك في أنهم في جانب الضعف؛ لأن قوله: ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ يدل على أن شيئا قد أصابهم، ولكن عزائمهم وإرادتهم قوية فلم يضعفوا أمام الأحداث، وما استكانوا، والله يحب الصابرين. ولما أصابهم شيء في سبيل الله وجب عليهم أن يبحثوا عنه، قال الحق: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا

أَن قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ (آل عمران: ١٤٧): أي: إنهم رجعوا إلى حساب أنفسهم، فقالوا: ما أصابنا ما أصابنا هنا إلا لأننا أذنبنا، فلو لم نكن مذنبين لما أصابنا ما أصابنا، لقد غرتنا أنفسنا وأسرفنا كثيرا، وهم بذلك يكونون قد شخصوا داءهم،

ثم دعوا بالنصر: ﴿وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامَنَا

وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل

عمران: ١٤٧)، فأول بوادر النصر أن يقر الإنسان بذنبه، ويشخص داءه، فإن

فعل كانت النتيجة: ﴿فَكَانَهُمُ اللَّهُ تَوَّابٌ

الْدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٨).

كان المسلمون في أحد، ولم يكن قد مر على زهو انتصارهم ببدر عام، وقد هزموا في المعركة ومعهم رسول الله ﷺ، فهل ذلك يدفعنا للقول: إن النبي وقومه لم يكونوا جنود الله؟ لا، نستثي النبي أولا؛ لأن النبي أمر، وأمره خولف عندما أوقفهم موقفا وقال لهم: لا تتركوه أبدا ولو رأيتمونا نتنصر، فالذي لم يكن من جنود الله ليس النبي، وإنما الذي خالف أمره؛ لذلك لم يكونوا ساعة المخالفة جندا من جنود الله، فكان لابد أن يهزموا؛ لأنهم لو انتصروا مع مخالفتهم لأمر رسول الله لأوامر رسول الله في نظرهم، وسيقولون: خالفناه وانتصرنا، ولكنهم خالفوا فكان لابد أن ينهزموا حتى يحترموا أوامر القائد، وبذلك يكونون جنودا.

حين يعرض الحق قضية يعرضها بدليلها، ولكنه يطلب إلى العاقل المنصف أن يأتي بالدليل مما يتفق عليه، لا مما يختلف فيه، فكما أخبرنا بكيفية مجيئنا ولم نشهد ذلك، قال لنا: أنا آتيكم بالدليل من كيفية موتكم وأنتم تشهدون ذلك، كذلك قال: أنا خلقتكم من طينة الأرض والتراب والطين والحمأ المسنون والصلصال، ونفخت فيكم من الروح، التي جعلتها من أمري وخصوصيتي، فلا تبحثوا فيها؛ لأنها لا تدخل تحت المنهج التجريبي

العلمي، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ

الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، لكن المادة

التي خلقتكم منها تدخل تحت تجربتكم وحسكم، إنها أمامكم وفي متناولكم، وهي الأرض.

والقرآن يعطينا الدليل على أن الروح من أمر الله، وأنها ليست مجالا للعلم التجريبي، فهل تعرف حركتها ونظامها؟ لن تعرف، وسيأخذ الدليل مما نشهده ونعلمه ويدخل تحت تجربتنا، نحن مخلوقون من تراب وطين وحمأ مسنون وصلصال، وقد جاء العلم الحديث على يد الكافرين ليحلل طينة الأرض، فقال: إن الكون كان فيه (٦٣) عنصرا حسب جدول مندليف عام (١٨٦٩م)، وبعدها بلغ عدد العناصر المكتشفة في الطبيعة (١١٨) عنصرا، لكل عنصر من هذه العناصر رقمه الذري المسجل في الجدول، ولدى تحليلهم الطين تبين أنه لا يحتوي على العناصر كلها، وإنما يتكون من (١٦) عنصرا فقط، وهذه نتيجة التحليل في معاملهم التي لا تكذب، قالوا: إن هذه العناصر بدأت بأكبر نسبة في الأوكسجين، وبعده الكربون، فالهيدروجين، فالنيتروجين، فالكالسيوم، فالكلور، فالفلور، فالكبريت، فالفسفور، فالماغنيسيوم، فالبوتاسيوم، فالصوديوم، فالحديد، فالليود، فالسليور، فالمنغنيز. ولما حللوا مادة جسم الإنسان وجدوها من (١٦) عنصرا، هي بعينها من الأوكسجين إلى المنغنيز، فدل صدق الله فيما علم بالتجربة العلمية على صدقه فيما لا نعلم من أمر الروح الغيبي.

ولنا إن شاء الله لقاء آخر نكمل فيه الحديث، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش

١- نواميس: جمع ناموس: قانون أو شريعة. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (٢/٢٢٨٥).

٢- رم العظم: بلي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢١/٢٢٢).



المؤسسات الإعلامية الغربية وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا

البلدان الغربية، وهو ما اصطلح عليه ب (الإسلاموفوبيا)، وتعني الخوف من الإسلام. وقد شاركت في مناقشة رسالة دكتوراه مؤخرا بكلية الإعلام جامعة الأزهر عن معالجة المواقع الإلكترونية الأجنبية الناطقة بالعربية لظاهرة الإسلاموفوبيا التي أعدها الباحث مصطفى محمد قناوي، وأثبتت الدراسة أن المواقع الإلكترونية ذات الانتماء الغربي تروج للإسلاموفوبيا من خلال تصدير صورة نمطية للمسلم، وتتسبب إليه في كثير من الأحيان مسؤولية وقوع الأحداث

بالمليارية أو المليونية غالبا ما تكون غريبة المنشأ والمحتوى، لذلك فالحديث عن هذه المؤسسات، هو حديث عن مؤسسات تأثير هائل في المستخدمين والمتلقين من الجماهير. ومن ضمن الإشكاليات التي تثيرها وسائل الإعلام الغربية أن كثيرا من الباحثين والمراكز البحثية يعزون تنامي ظاهرة (الإسلاموفوبيا Islamophobia) إلى وسائل الإعلام التي تتشر بشكل مستمر ما يشير إلى مسؤولية المسلمين عن حوادث العنف والإرهاب، وتحذر من خطورة المد الإسلامي في

تؤدي المؤسسات الإعلامية الآن أدورا مهمة في تشكيل اتجاهات ومشاعر الجماهير الغفيرة حول العالم، وهي مسئولة عن خلق حالة الوعي أو اللاوعي في أحيان كثيرة، خاصة تلك القنوات والمنصات الإعلامية التي يتابعها الملايين، بل بعضها يفوق عدد مستخدميها المليار نسمة كما في مواقع شبكة الإنترنت بشكل عام، وتطبيق فيس بوك وحده الذي يستخدمه ما يناهز الثلاثة مليار مستخدم حول العالم، وسيلاحظ القاريء أن المؤسسات الإعلامية (التقليدية والرقمية) التي يمكن وصفها

هذا المضمار، حيث أنشأ مرصد الأزهر الشريف لمكافحة التطرف في يونيو (٢٠١٥م)، بمبادرة من شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، ويقوم المرصد بمتابعة وسائل الإعلام الكبرى في العالم، ويصدر تقارير باللغة العربية واشتتت عشرة لغة أجنبية أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والعبرية والأردية والصينية والإيطالية وعدد من اللغات الأفريقية.

والموضوع يحتاج إلى تضافر الجهود، وإلى التعاون بين بلدان العالم الإسلامي لوضع خطط للمواجهة الإعلامية لحملات الكراهية المنظمة من قبل بعض مؤسسات الإعلام الغربي ضد المسلمين، وتنفيذها بالشكل الذي يحقق غاياتها المنشودة، وتقديم صورة حقيقية عن الدين الإسلامي وأتباعه الذين يتزايد عددهم يوما بعد يوم في كل مكان بالرغم من كل هذه الإساءات ومحاولات النيل منه، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُشَرَّ نورهٗ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة
التوبة: ٣٢)

الهوامش

١- مصطفى محمد قناوي، معالجة المواقع الإلكترونية الأجنبية الناطقة بالعربية لظاهرة الإسلاموفوبيا، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الأزهر: كلية الإعلام، قسم الصحافة والنشر، ٢٠٢١م).

خلال اعتناق غير المسلمين لديانة الإسلام، أو هجرة المسلمين إلى بلاد الغرب.

أما عن خطورة ظاهرة الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام الغربية، فتتمثل في أنها تخلق رأيا عاما ضد المسلمين والشعائر الإسلامية، وتغذي مشاعر الكراهية والعنصرية ضد المسلمين، وبالتالي تحاول بعض الدول تقييد ممارسة الشعائر الدينية للمسلمين، أو توقف بناء المساجد والمراكز الإسلامية الجديدة، عن طريق سن القوانين التي تعطي غطاء قانونيا لمثل هذه الممارسات.

إن الحل الأمثل لمواجهة تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام الغربي تتمثل في مخاطبة الغرب بلغتهم التي يتحدثون بها، وبلغة هادئة متعقطة يغلب عليها المنطق واستخدام أسس الإقناع العقلية لتوضيح الحقائق ودحض الشبهات التي تثار هنا أو هناك عن الإسلام والمسلمين، ولابد أن يتزامن ذلك مع ضرورة ضبط سلوك الإنسان المسلم في المجتمعات الغربية، والتحذير من الصور النمطية التي يروجها البعض عن المسلمين.

إن الحاجة ملحة لمتابعات مستمرة للمنابر الغربية المؤثرة، ورصد المقالات والتقارير الإعلامية المسيئة للمسلمين، والرد على هذه المضامين بلغة هادئة غير متشجعة، لتوضيح الحقائق، وتصحيح الأفكار المغلوطة عن أمة المليون ونصف المليون نسمة حول العالم، وبالطبع هناك محاولات حثيثة في هذا الجانب، ولالأزهر الشريف تجربة رائدة في



الإرهابية، وتربط بين صورة المسلم وعدد من التنظيمات الإرهابية حول العالم.^(١)

والحقيقة أن هذه النتيجة هي نتيجة متوقعة، وتوصلت لها عدة دراسات سابقة عربية وغربية، وبالقطع لا يمكن التعميم في هذه القضية، فالتعميم دائما خطأ علمي، إلا أنه من المؤكد أن كثيرا من المواقع الإخبارية الغربية ومنصات التواصل الاجتماعي تعج بخطاب الكراهية ضد المسلمين، وبعضها يروج لبعض الإساءات الموجهة إلى رموز الدين الإسلامي كالقرآن الكريم والنبي محمد ﷺ لدرجة أن بعض الصحف والمواقع الإلكترونية تعمدت إعادة نشر الصور المسيئة للنبي الكريم سيدنا محمد ﷺ تحت دعاوى حرية الإعلام والصحافة، ومحاصرة المد الكبير للمسلمين في أوروبا من



التواصل الحضاري.. ضرورة يملئها التنوع

الجانب العقدي فحسب؛ فالله سبحانه هو الواحد الأحد، وأما خلق الله فمتفاوتون في أمورهم وأحوالهم.

وقد بين القرآن الكريم سنة التعدد هذه في أكثر من موضع، وبأكثر من دلالة.

فعن التعدد في جانب الدين والاعتقاد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨). جاء في تفسير ابن كثير: «يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة

الحضاري هو الاعتراف بوجود حضارات متعددة؛ ذلك أن التواصل لا يكون إلا بين طرفين أو أكثر؛ أما لو كنا أمام حضارة واحدة فلن تكون ثمة معقولية للدعوة إلى التواصل؛ إذ ليس يتواصل المرء مع نفسه، اللهم إلا من قبيل المجاز، مما ليس مراداً في الحديث هنا.

والاعتراف بوجود حضارات عدة، متنوعة ومتمايزة، هو مما يتفق مع الرؤية الإسلامية التي تنطلق من التعدد والتنوع فيما يخص الناس، ألوانا وألسنة وأديانا وأعراقا؛ بينما تنطلق من التوحيد فيما يخص

لا يزال سؤال الحضارة وما يستتبعه من أسئلة كثيرة ومتداخلة، محل اهتمام من الباحثين والمفكرين، لاسيما وأن عالمنا يموج بتطبيقات وإرادات تريد أن تجعل من المسألة الحضارية موطناً للنزاع، وساحة للصراع!

فهل التواصل بين الحضارات يمكن أن يكون بديلاً لدعوات الصراع؟ وما الذي يعنيه هذا التواصل؟ وما المجالات التي يمكن أن يتجلى فيها؟

حضارات متعددة

وأول ما يستدعيه سؤال التواصل

واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس: ٩٩). وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. قال عكرمة: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الهدى. وقال الحسن البصري: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الرزق، يسخر بعضهم بعضا؛ والمشهور الصحيح الأول^(١). وعن التعدد في جانب الألسنة والألون، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ عَائِلَهُمْ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلُهُمْ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢). يعني: «اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما. ﴿وَالْوَنُكُمُ﴾: أبيض وأسود وأحمر، وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة^(٢). وعن التعدد في جانب الأعراق والأمم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

إذن، الأصل في العلاقة بين الناس هو التعدد والتنوع؛ سواء فيما يتصل بأديانهم وأفكارهم، أو أصولهم ولغاتهم وألوانهم.. وهذا أمر مقصود من الله تعالى العليم بما يخلق، المقتدر فيما يفعل، الحكيم فيما يريد. ولعل مما يدعم ما ذهبنا إليه من

القول بتعدد الحضارات، بخلاف من يقولون إننا نعيش حضارة عالمية واحدة؛ هو التأمل في مفهوم الحضارة ذاته^(٣).

ورغم الاختلاف في تحديد مفهوم الحضارة، شأن كثير من المصطلحات والمفاهيم؛ فإننا هنا نستخدم مفهوم الحضارة باعتباره جامعا لـ «الثقافة» و«المدنية»؛ و«الثقافة» تدل على مجمل الأفكار والقيم، أي الجانب المعنوي من النشاط الإنساني؛ بينما «المدنية» تدل على مجمل الإنجازات والعمران، أي الجانب المادي من النشاط الإنساني؛ فالحضارة جامعة بين الجانبين. وإذا كان لكل أمة ثقافة وعمران مميزان لها وخاصان بها، فلا جدال حينئذ أننا أمام حضارات تتعدد بتعدد الأمم، وتتوحد بتنوع الشعوب؛ ولسنا بصدد حضارة عالمية واحدة كما يذهب البعض^(٤).

نعم، قد نكون أمام إنجاز مادي عالمي أسهمت عدة شعوب وثقافات في بنائه؛ لكن هذا لا يخول القول بأننا أمام حضارة واحدة؛ لأنه يعني حينئذ أن نقصر مفهوم الحضارة على الجانب المادي فحسب؛ وليس هذا صوابا؛ لأن مفهوم الحضارة جامع بين الجانبين المعنوي والمادي معا.

العزلة ليست ممكنة

وما دمننا قد اتفقنا على أننا بصدد حضارات تتنوع وتختلف في ثقافتها ومدنياتها؛ فإن البعض أمام هذا التنوع والاختلاف قد يخشى على ثقافته، لاسيما لدى شريحة من أبنائه لم تتمكن بعد من

ثقافتها، فيطرح أو يستسهل «العزلة الحضارية» كخيار يتبناه للحفاظ على ثقافته وتحصين أبنائه من الذوبان في ثقافات الآخرين أو الانخداع بها.

ورغم أن هذا موقف يبدو سهل التنفيذ ومريحاً؛ فإنه في الحقيقة ليس الخيار المناسب؛ لاسيما في زمن قد اختلطت فيه الثقافات وانفتح بعضها على بعض، حتى اخترقت كل الجدران والحواجز، وتلاشت بينها المسافات على نحو غير مسبوق في التاريخ البشري.

لقد كانت العزلة الحضارية خيارا ممكنا فيما مضى؛ يكفي أن تغلق المدن أسوارها على سكانها، أو تحرق الكتب، أو تمنع الترجمة؛ لتحافظ على نفسها من التأثير بالآخرين؛ أما اليوم في واقعنا الراهن فلا يبدو هذا خيارا ممكنا أصلا، بغض النظر عن حظه من الصواب والخطأ.

إذن الحل يكمن في تحصين الذات بثقافتها وتراثها، وتعليم الأبناء كيف يتفاعلون مع غيرهم، وأي شيء يستفيدون منه، وما هو مقبول وما هو مرفوض، وما المعيار في كلا الأمرين.

الصدام ليس حلا

كذلك لا يبدو الصدام بين الحضارات خيارا مناسباً لتنظيم العلاقة بينها، بدعوى اختلاف الثقافات التي تشكل جوهر الحضارات؛ كما ذهب البعض. فالاختلاف في حد ذاته ليس مدعاة للصراع، وإنما يجري توظيف هذا الاختلاف في إذكاء الصراع وإيجاد المبرر له.

والقول بصدام الحضارات نتيجة اختلاف الثقافات، يمكن أن يتم تعميمه ليصبح مطلق الاختلاف مدعاة للصراع؛ وهكذا نكون أمام متوالية لا تنتهي من الصراعات؛ فهناك صراع بين الرجل والمرأة بدعوى اختلافهما، وصراع بين الأغنياء والفقراء أيضاً، وصراع بين التكوينات المتعددة حتى داخل المجتمع الواحد.. ولو أطلق العنان لهذا التبرير فسنكون أمام صراعات لا تهدأ، ونيران لا تتمد!

و«الصراع» لا يبدو فلسفة إسلامية تحكم التعدد الموجود في الكون؛ وإنما «التكامل»؛ فالرجل يتكامل دوره مع المرأة، والغني يتكامل دوره في الحياة مع الفقير.. وهكذا؛ فكل طرف بحاجة للآخر، يأخذ منه ويعطي له، وإن اختلفت صور الأخذ عن صور العطاء. وقد شاء الله سبحانه أن يجعل الناس متفاوتين، ليحصل من هذا التفاوت وجود الحاجات وتبادل المنافع، وليس الصراع على ما يملكه كل طرف.

كما تقوم فلسفة الإسلام أيضاً في إدارة الاختلاف على «التدافع»، بقصد منع اعتداء طرف على

طرف؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هَلْ دَمَرُوا صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠). أي «لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب؛ لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف»^(٥).

التواصل أكثر من خيار

وإذا تبين لنا أن العزلة الحضارية ليست خياراً صائباً ولا حتى ممكناً، وأن الصراع ليس هو الطريقة المثلى في إدارة التنوع الذي جعله الله سنة في الخلق؛ فإننا ننتهي من هذا إلى أن التواصل بين الحضارات هو الخيار المناسب.

بل إن هذا التواصل ليس مجرد خيار؛ وإنما هو ضرورة؛ ضرورة يملها التنوع وتقرضها مصلحة الجميع؛ ففي التواصل تتحقق مصلحة الأطراف كافة، ونزاع فتيل الصراع ونطفئ نار الخصومات.. وفي التواصل يتحقق التكامل ليأخذ كل طرف ما يحتاجه، ويفيض على غيره مما لديه.. وفي التواصل أيضاً تتراكم الخبرات والجهود والطاقات، ونحافظ عليها من الهدر والاعتداء..

والتاريخ الإنساني شاهد على التواصل بين الحضارات التي أفادت بعضها من بعض، وراكم بعضها على إنجازات بعض؛ فقد أفادت الحضارة الإسلامية مما سبقها من حضارات في علوم الحياة والأحياء وفي تنظيم الدواوين وترتيب الهيئات؛ كما أفادت الحضارة الغربية من الحضارة الإسلامية ومنجزاتها، بل أفادت منها أيضاً في التعرف على تراثها اليوناني الذي كانت الحضارة الإسلامية أمينة على نقله، مبدعة في التفاعل معه والإضافة إليه. ولولا الحضارة الإسلامية كمرحلة وسيطة مبدعة بين العالم القديم والنقلة الحديثة، ما أمكن للغرب أن ينهض ولا أن يتعرف على تراثه هو، كما شهد

بذلك المنصفون في الغرب من مؤرخي الحضارات والعلوم.

ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى شهادة غوستاف لوبون وهو يرصد تأثير العرب في الغرب، فيقول: «لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوربة حينما أدخلوا الحضارة إليها. وإذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جداً، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشفوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع، وذلك كيما يكون عندهم من الرقوق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة.

ويضيف: دامت همجية أوربة البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوربة بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم.

ويوضح لوبون أن الغرب - في استفادته من الحضارة العربية - لم يقتصر على ترجمة مؤلفات علماء العرب؛ كالرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد... إلخ، إلى اللغة اللاتينية، بل نقلت إليها، أيضاً، كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم

الخاصة، ككتب جالينوس وبقرات وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وأرشميدس وبطليموس؛ فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب كما روى الدكتور لوكير في كتابه «تاريخ الطب العربي».

ويقرر لوبون أن الغرب لم يعرف تراثه القديم إلا من خلال جهود العلماء المسلمين؛ فيقول: والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد، وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع أصلها ككتاب أبلونيوس في المخروطات، وشروح جالينوس في الأمراض السارية، ورسالة أرسطو في الحجارة... إلخ، وأنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان. فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً، قال مسيو ليبيري: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ؛ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون».

ثم ينتهي لوبون إلى القول: إن العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلفي، وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون^(١). ورغم هذه الشهادة ذات العمق

والإنصاف على صفحات ناصعة من التواصل الحضاري، فعلى أن نعترف بأن التاريخ الإنساني كان شاهداً أيضاً على محطات من الصراع، ومواقع من النزاع.. لكن، لماذا يريد البعض أن يجدد هذا الفصل الدامي من التاريخ، غافلاً عن الصحائف البيضاء منه!

فيم يكون التواصل؟

وهذا سؤال مهم بعد سؤال تعدد الحضارات، وسؤال طبيعة العلاقة بينها. وأهمية هذا السؤال - فيم يكون التواصل؟ - أنه ينقلنا إلى نقطة عملية مفيدة، بحيث لا نقف عند الحد النظري من المسألة، وإنما نحاول التعمق في جانبها التطبيقي.

ويمكن أن نقول إن مجالات التواصل والحوار كثيرة جداً؛ منها:

- الانفاق على العناية بالإنسان، مطلق الإنسان، وضمان حقوقه الأساسية، ومنع العدوان عليه، والوقوف في وجه المعتدي.

- ضمان القواسم المشتركة بين الرسالات السماوية، لا سيما فيما يتصل بالجوانب الاجتماعية؛ مثل الحفاظ على حقوق الطفل وكيان الأسرة، ومنع محاولات الانسلاخ عن الفطرة والخروج على قيمها.

- الوقوف أمام موجات الإلحاد والتشكيك والعبث بعقول الشباب، باتجاه العدمية والشهوانية.

- تبادل برامج التنمية والتدريب والتطوير، وكل ما من شأنه أن يرتقي بالمجتمعات ويبادل الخبرات والمعارف بين أبناء الشعوب المختلفة، لاسيما الشعوب التي وقعت عليها

اعتداءات فيما مضى ولم يتم تعويضها فضلاً عن الاعتذار إليها؛ مثل دول أفريقية كثيرة إبان مرحلة الاستعمار.

- العناية بالبيئة التي هي لنا جميعاً بمثابة «بيت كبير» نسكنه معاً، وننعم بخيراته. ومن المهم أن نوقف استنزاف البيئة أو العدوان عليها، مما يتم لصالح دول بعينها لا تأخذ في الحسبان ما يقع على البيئة من عدوان، ولا ما ينال من حقوق الأجيال القادمة.

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن ثمة جهوداً محمودة قطعت أشواطاً في هذه الاتجاهات أو بعضها.. وعلينا أن نشجع ذلك، ونبني عليه، ونواصل الطريق!

الهوامش

- ١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦١ / ٤.
- ٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢ / ٥٧٥.
- ٣- يعرف د. حسين مؤنس «الحضارة» بأنها: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته؛ سواء أكان المجهود المبذول مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية. انظر له: الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (ص: ١٥).
- ٤- راجع المزيد في مقالي: عشر حقائق عن مصطلح الحضارة، بموقع «إسلام أون لاين».
- ٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٣٥ / ٥.
- ٦- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، (ص: ٥٦٦ - ٥٧٩).



فقه التواصل الحضاري بين الأمم

على الإيمان به، وجعل عاقبة الإيمان به أو الكفر به يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر: ٣٩).

وجوب التواصل الحضاري

التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب واجب حتمي، ويجب على المسلمين أن يملكوا زمام الأمر فيه، وهذا الوجوب مبني على عدة اعتبارات، من أهمها:

المشترك الإنساني

فإن الله تعالى هو خالق الناس جميعا، فنحن جميعا صنيعا لله تعالى،

الحضاري موجود بين طوائف من جميع الأديان، مع أن أصل التواصل بدأ من بداية خلق آدم عليه السلام، حيث أسكن الله تعالى ذريته الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، وقد امتن الله تعالى على بني آدم أن جعلهم يخلفون الأرض جيلا بعد جيل، فلا يسيطر على الأرض ولا يتمكن منها إلا بنو آدم، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، ولهذا، فقد جعل الله تعالى بني آدم جميعا، من جميع الأجناس والحضارات في وحدة واحدة، وهي الأرض، فجمعهم جميعا فيها، فهم فيها شركاء، وهذه هي الشراكة الإنسانية، لكنه مع إيجاد تلك الوحدة الإنسانية حث الجميع

خلق الله تعالى الخلق جميعا، فما من أحد في هذا الكون من إنس أو جن أو ملائكة أو طير أو حيوان أو نبات أو جماد، إلا والله خالقه، فالله تعالى هو خالق الناس جميعهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢)، فسبحانه رب العالمين، وهو رب الناس ملك الناس إله الناس، فكل الناس منه وإليه.

لماذا التواصل الحضاري؟

يتصور بعض الناس أن مع اختلاف العقائد والأديان، فالعالم منقسم إلى عوالم منفصلة، وأنه يجب أن يكون كل أصحاب دين وعقيدة وحدهم دون غيرهم، هذا الانقسام



تعالى في بني آدم: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ بل لقال على جميع من خلقنا.

الشراكة في الحياة الدنيا

ومما يوجب التواصل الحضاري بين بني البشر وجودهم في هذه الحياة الدنيا، فالله تعالى خلق الدنيا لبني آدم، وأسكنهم إياها جميعا، فلم يخلق الله تعالى الناس ليتقاتلوا بينهم؛ فليست الحكمة من الخلق الفناء والقتال، بل التعاون على البر والتقوى والعمل الصالح، وإنما شرع القتال في حالات استثنائية حين الاعتداء؛ فيشرع لدفع الظلم والعدوان، حتى يرجع الظالم عن ظلمه وتعود الحياة سالمة كما كانت، يتعاون فيها بنو آدم على المصالح المشتركة، ولهذا عبر عن شرعية الجهاد بالإذن، والإذن يأتي بعد

المساواة في التكريم الإنساني لجنس البشر من الله تعالى، فالله فضل بني آدم - باختلاف أديانهم - على كثير من الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، فالله تعالى سخر للإنسان كل ما في الكون؛ ليكون هو عبدا لله، فقد فضل الله تعالى بني آدم على الجن والطير والحيوان والنبات، ولا يقال: إن الله فضل بني آدم على جميع المخلوقات، بل الملائكة مفضلة على بني آدم في الجملة، جاء في تفسير المنار (٧ / ٣٥٨): «والحق أن ظواهر القرآن الواردة في الملائكة والرسول تدل على أن الملائكة أفضل من البشر، ولعله لولا ذلك لما قال

وبيننا من المتشابهات والتوافقات في الحياة أمور كثيرة جدا، وهذا المشترك الإنساني يدخل فيه المسلم والكافر، والأنبياء والأولياء، والظلمة والفاسقون، وقد دلل الله تعالى على ذلك المشترك الإنساني بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَاكُلُوا أَطْعَامًا وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٢٠)، فالأفعال الجبلية، والحاجات الأساسية من طعام وشراب ومسكن ونكاح وبيع وشراء وغيرها من المعاملات يشترك فيها كل بني آدم، وهذا المشترك الإنساني يتطلب منا التعاون فيما بيننا مع اختلاف العقائد والأديان والمذاهب والأفكار والألسن.

التكريم الإنساني

ومما يوجب التواصل الحضاري

وغيرها من العلوم دال على الفهم الحضاري للمسلمين الأوائل.

التواصل الحضاري بوابة الدعوة

إن من أهمية التواصل الحضاري بين المسلمين وغيرهم أنه بوابة لمعرفة غير المسلمين تعاليم الإسلام؛ معرفة واقعية عن قرب، فيرون أخلاق الإسلام في المسلمين؛ وهي أفضل صورة الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣). وقد قيل: فعل رجل في ألف رجل؛ خير من قول ألف رجل في كثير من ربوع الأرض من خلال المعاملة الحسنة والعشرة الطيبة، ولهذا أوصانا الله تعالى بمعاملة غير المسلمين معاملة حسنة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقِينُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)، إننا اليوم أمام فرصة سانحة للتعريف بالإسلام، وذلك من خلال ذلك التواصل الحضاري عبر تلك الوسائل المعاصرة التي قربت البعيد، وجعلت ساحة للتعارف الإنساني؛ ليعرض كل فريق ما عنده من قيم وأخلاق، وتلك - إن صحت التسمية - معركة، الإسلام فيها هو الرابع الأول.

ضوابط ومجالات التواصل الحضاري

وإن كان التواصل الحضاري واجبا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَعْلَمُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ (الحج: ٣٩ - ٤١).. ونلاحظ في الآيات أن الجهاد شرع لدفع الظلم والإخراج من الديار بغير حق، وأنه شرع حماية للدين وصيانة للمساجد ودور العبادة لذكر الله تعالى، ثم بين أن من مكثهم الله تعالى بالعزة والقوة يسعون إلى عمارة الأرض بالعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يحفظ توازن الحياة.

كما بين الله سبحانه أن عمارة الأرض واجبة على المسلمين خاصة، وأن الاستمتاع بالحياة الدنيا وزينتها لهم في الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، والآخرة لهم خاصة، فدل على وجوب التشارك مع غير المسلمين في أمور الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وقد ساد فكر الزهد في الدنيا في غير محله، وانتشرت مقولة: «لهم الدنيا ولهم الآخرة»، فتأخر المسلمون عن ركب الحضارة، وأصبحوا عالة على غيرهم؛ لأنهم لم يفقهوا عن الله مقصده، ولا عن رسوله ﷺ بيانه، ولا فطنوا تاريخ أمتهم التي صنعت حضارة من أعظم حضارات الدنيا، فبروز المسلمين في مجالات الحياة من الطب والصيدلة والفلك والفيزياء والكيمياء والأحياء والهندسة والحرف والمهن والاختراعات

المنع، فالأصل في القتال أنه ممنوع، لكنه يشرع في حالاته المحمودة، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَذَرُونَ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى اللَّهِ سُلْطَانُ الْيَوْمِ وَالْآخِرَةِ﴾ (البقرة: ٢١٦). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ يَرْجُو أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا

حتميا؛ إلا أنه يجب أن يكون منضبطا بضوابط الشرع، معلومات المجالات المتاحة والممنوعة، ومن ذلك:

وجوب التمايز في أصل العقيدة

ففي التواصل الحضاري يحذر المسلم من الذوبان فيما يחדش عقيدته، فنحن من جهة أبناء آدم جميعا، ومن جهة أخرى، فإننا مختلفون في أصل الدين والعقيدة، وهذا التمايز العقدي يجب الحفاظ عليه، فلا تنازل عن الثوابت والمسلمات التي تكون الهوية الإسلامية، وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلًى﴾ (البقرة: ١٤٨)، فأصول العقائد والعبادات ليست محلا للتنازل أو التقارب، لأن أمر العقيدة لله تعالى وليس للبشر، وما كان لله يجب أن يكون لله، وهذا التمايز فرضه الله تعالى على رسوله - ﷺ - وعلى أمته من بعده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ (الكافرون: ١ - ٦)، فمحاولات التقريب في أصول العقائد، وإذابة العقائد كلها في عقيدة تشمل الجميع ضرب من الخبل، فليس هناك في دين الله ما يسمى بالدين الإبراهيمي، أو وحدة الأديان، فتلك نقائص، فلا يستوي الحق والباطل عند كل العقلاء، وهذا التمايز سنة كونية واجتماعية؛ مرعية في كل عصر وجيل، فلا يلام

المسلمون على حفاظهم على هويتهم العقدية.

التواصل في القواسم الدينية المشتركة

ومن ضوابط التواصل الحضاري التواصل في القواسم الدينية المشتركة، فكل الأديان السماوية اليوم، بل والأرضية منها تدعو إلى مكارم الأخلاق، والقيم الإنسانية الفاضلة، من العدل والرحمة والإحسان والأمانة والصدق والوفاء بالوعد، وتلك المنظومة الأخلاقية أضحيت ثقافة عامة؛ يجب تعظيمها في جميع الشعوب والأديان، وقد عبر القرآن الكريم عن تلك المنظومة الأخلاقية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٠ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ١١﴾ (النحل: ٩٠ - ٩١).

التواصل في مصالح الحياة

لما كانت الأرض هي القاسم المشترك بين بني آدم جميعا؛ مسلمهم وكافرهم، وكانت المصالح الدنيوية تجمع الناس جميعا في الوطن الواحد، والقارة الواحدة، وفي الكون الواحد، كان التواصل الحضاري في مجالات الحياة مجالا رحبا للتواصل بين الناس جميعا، فالناس في الوطن الواحد

يحتاجون إلى التواصل في قضايا التعليم وكيفية رفع مستواه، وكيف يكون التعليم داعما لقضايا التنمية وبناء النشء على الفضائل لا الرذائل والعطاء لا الاتكالية، وكذلك في قضايا الصحة وحفظ صحة الناس ومواجهة الأمراض، وكذلك التواصل في قضايا البيئة والسكن وغيرها من مجالات الحياة المتعددة، ويصدق في ذلك قول ربنا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)، والبر اسم جامع لكل خير في الدنيا والآخرة، وقد جمعت الآية حفظ المصالح من جهة الوجود بالأمر بالتعاون على البر والتقوى، وحفظ المصالح ودرء المفسد من جهة العدم، بحرمة التعاون على الإثم والعدوان. إننا بحاجة إلى رسم خريطة للتواصل الحضاري بين الناس في القطر الواحد، والقارة الواحدة، والعالم كله، وأن نعرف ما يصلح فيه التواصل وكيف ننميه ونغذيه بما يحفظ للأجيال كرامتها، وبين ما يكون في التمايز الذي يحفظ الهوية لكل فريق، فيحصل التواصل في تناغم يحقق مصالح الجميع، وتلك رؤية حضارية للإسلام يجب الانتباه إليها، وأخذ زمام المبادرة من المسلمين لتسويقها عالميا، فإننا اليوم أحوج ما نكون إلى تصحيح معرفة الآخرين بنا، والتواصل الحضاري هو البوابة الكبرى للتعريف بالإسلام والمسلمين؛ تاريخا وحضارة وواقعا، وتلك مهمة كبرى لأمة عظيمة.



التواصل بين الأمم سلوك إسلامي

كرامة الإنسان وأشاع العدل والمساواة والحرية، فكانت العلوم والمعارف والاختراعات والطب والفلك وغيرها من تقدم معرفي غير مسبوق عاشه العالم.

ومع تطورات التقنية الحديثة وانتشار تكنولوجيا الاتصالات بشكل واسع، والتي حولت العالم إلى قرية صغيرة لم تعد فيها حدود الزمان والمكان، عائق أمام إيصال المعلومات والبيانات، فإن أهمية التواصل الحضاري تزداد قيمة لمد جسور التواصل مع مختلف الشعوب، والعمل على نشر الدين الإسلامي في كل أنحاء المعمورة، عن طريق وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الإنترنت المختلفة، وتبيان أن الإسلام هو دين السلام والأمن والحضارة، الذي يبني ويعمر وينعم فيه الإنسان بالعدل والرحمة والتعامل الراقي والعيش الكريم.

والعمل المشترك لما فيه مصالح الناس والشعوب، لأن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن غيره في العمل والحياة لارتباط المصالح والأعمال، فكل شخص يكمل وظيفة الآخر لتسيير أمور الدنيا. وفي ظل ما يواجهه العالم من تحديات وصعوبات كثيرة نتيجة نشر ثقافة العنف والكراهية وتهديد أمن المجتمعات بأعمال لا تمت بصلة للدين ولا الحضارات الإنسانية، فإن من المهم تعزيز وسائل الحوار والتواصل الحضاري بين الأمم لإبراز تعاليم الدين الإسلامي السمحة، القائمة على الاحترام والسلام والأمن، خصوصا أن الإسلام دين حضاري يدعو إلى التعارف والتواصل بين البشر، فكانت الحضارة الإسلامية ممتدة من المشرق إلى المغرب، بتنوع ثقافات وعادات وطبائع الشعوب، التي وصلها هذا الدين العظيم، والذي حافظ على

لا تكمن أهمية التواصل الحضاري بين الأمم في الاطلاع على ثقافات الشعوب والتعرف على أحوالهم وطبائعهم فقط، إنما أيضا لاعتباره سلوك إسلامي وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية. وكلما تقربنا وتواصلنا مع شعوب العالم المختلفة تعرفنا أكثر على ثقافتهم واستفدنا من تطورهم وعلومهم، وكذلك استطعنا نشر الدين الإسلامي وإيصاله إلى كل شعوب العالم، ليتعرفوا على دين العدالة والمساواة الذي جاء رحمة للبشرية جمعاء.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالتعارف باب خير وفائدة ومنفعة كبيرة يقود إلى التعاون والتسيق



فوائد التواصل بين الأمم

من نشر الدين الإسلامي عن طريق التحاور والإقناع لأنه الأكثر تأثيراً في إيصال الرسالة والهدف، فالقناعات لا تتغير بالحروب والسيوف، بل بالأفكار والحوار والتبادل الثقافي.

ولعل من فوائد التواصل الحضاري ليس فقط تغيير القناعات والأفكار وتصحيح التصورات الخاطئة التي ترسخت في الأذهان عن دين معين أو فكرة ما، إنما بالاستفادة من العلوم والمعرفة والتطورات في مناحي الحياة التي تعيشها الأمم والشعوب.

وتعتبر الحضارة الإسلامية سبابة ليس في احتلال صدارة النهضة والازدهار وتحقيق التطور الشامل، إنما في اعتماد الحوار والتواصل مع حضارات الأمم الأخرى لتستفيد من ثقافات الشعوب ومعارفهم وتنتشر الدين الإسلامي بين الأمم المختلفة كدين يعتمد منهج التسامح والاعتدال والاعتراف بالآخر دون إقصاء أو تهميش.

لإرساء علاقات مبنية على منهج التعارف بين الحضارات المختلفة. وعندما تتلاقى ثقافات الشعوب وحضارتها المختلفة من خلال الحوار والتواصل فإن ذلك يؤدي إلى تعزيز السلام العالمي ويخفف من أجواء التوتر والنزاعات بسبب الخوف من الآخر.

ولا تقتصر عملية التواصل على مستوى الحكومات أو الدول فقط إنما حتى الأفراد العاديين يحققون أهداف التواصل الحضاري من خلال أي عمل أو نشاط يقومون به لتعزيز التقارب والتعايش مع الأمم الأخرى.

وثمة الكثير من الأفعال التي قام بها أفراد وجماعات وحققوا نتائج مبهره على صعيد التواصل الحضاري بين الشعوب وحضارات العالم المختلفة. التأثير في الآخر يكون عبر التواصل والحوار وليس عبر الصراع والنزاع، وهذا هو أصل الحضارات، وهو أيضاً ما قامت عليه الدعوة الإسلامية

وسط كثير من المتغيرات نتيجة ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات التي حولت العالم إلى قرية صغيرة تداخلت واختلطت فيها الأفكار والثقافات واللغات، تبرز أهمية التواصل الحضاري بين الأمم للاستفادة من التقارب في الزمان والمكان والاطلاع على ثقافات الشعوب ومعارفهم وعلومهم. وفي خضم صراعات سياسية واقتصادية وفكرية، فإن التواصل الحضاري يمثل أهمية بالغة باعتباره الوسيلة الأكثر فعالية في تحقيق التقارب والتفاهم وتقوية العلاقات بين الدول والشعوب. وكلما كان التواصل الحضاري مبني على أساس واضحة وفهم لحضارة كل أمة فإن ذلك يؤدي إلى الاستقرار والازدهار وتحقيق السلام العالمي.

ولا شك أن التواصل مع الآخر سلوك حضاري ينتج عنهم فهم لطبيعة وثقافة الآخر، وهو ما يؤدي إلى التعايش والتفاهم والتقارب مع الشعوب، فليس هناك أفضل من الحوار والتواصل



تكامل لا تصادم

حاربه الإسلام، والنبي ﷺ حطم كل الأصنام التي كانت حول الكعبة. أما حينما دخل المسلمون البلاد الأخرى، ومنها على سبيل المثال: مصر في ذلك الزمان بعد وفاة النبي ﷺ، احترمو حضارة المصريين، فلم يحطموا آثارهم، وبقيت الآثار المصرية كما هي، فتحطيم الآثار بحجة أنها أصنام واجهها علماء المسلمين، وقالوا: إن هذه ليست كالأصنام التي كانت على عهد النبي ﷺ، وبينوا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يحطموا الآثار، وأن الواجب على المسلمين الإبقاء على

كمطلب إنساني مهم اكتسب أهمية كبرى في عصور سابقة، لتتضاعف أهميته في هذا العصر، وهذا ما يحدثنا عنه كوكبة من العلماء. نبدأ مع الدكتور مختار مرزوق عبدالرحيم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، والذي أكد أن الإسلام حينما بعث به رسولنا ﷺ، لم يتصادم مع الحضارات السابقة عليه إلا في حالة واحدة، وهي في الكفر، فكانوا يعبدون غير الله عز وجل، ويتخذون أصناما يتقربون بها إلى الله عز وجل، وهذا ما

يشكل التواصل الحضاري بين الأمم، أهمية في تعزيز التعاون الإنساني لتحقيق التنوع الثقافي بين الشعوب، وتعزيز التفاهم فيما بينها، وإرساء مناهج ثابتة للوصول إلى هذا الأهداف دونما تصادم.. ويمثل التواصل عبر العصور نافذة لنقل العلوم والخبرات والمنجزات الحضارية على جميع الأصعدة، ليستفيد منها الإنسان، شريطة التعاون البناء القائم على احترام الآخر، فضلا عن دوره في إقامة جسور التفاهم.. وتتجدد الحاجة باستمرار إلى هذا التواصل

صور التواصل

بدوره، قال الدكتور عاصم الدسوقي، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة حلوان: كل بلد له حضارته المستمدة من أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ويترتب عليها قيم فكرية معينة تبدو حتى في الأمثال الشعبية التي يرددتها الناس، وبالتالي لأن كل مجتمع له تاريخ منفصل فمن هنا لا توجد حضارة واحدة، فليست دول أوروبا كلها حضارة واحدة، على الرغم من أن الدين واحد، فلا يوجد ربط بين الدين وبين الحضارة، الدين مسألة إيمانية والحضارة مسألة مادية، والتواصل الحضاري يأتي من خلال التعاون والحاجة، وأي تفاعل بين أمتين هذا يسمى تواصل حضاري، حتى في أبسط صوره بين مواطن من حضارة، ومواطن آخر من حضارة أخرى، يبدو حتى في التصرفات الحياتية اليومية، وربما نفر منها ورفضها، وربما توافق معها، حتى عند الحاجة الاقتصادية، وما حدث من الغرب في بدايات الثورة الصناعية، وقدمه إلى الشرق بحثاً عن المواد الخام، هذا من صور التواصل بين الحضارات، فمجرد التواصل حتى بين الشعوب وبين بعضها البعض، فهذا يصنع ألفة ويدعو إلى التعاون لأنه في حاجة له. وأضاف أن هذا التواصل الحضاري له ضوابط، فأنا أخذ من الآخر ما لا يتصادم مع ثقافتني ولا أنمحي أمامه ويكون لدي اعتزاز بثقافتني وحضارتي، على سبيل المثال عندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، بقيادة نابليون بونابرت، المصريون وجدوا عند الفرنسيين بعض العادات أو الثقافات أو المعرفة المختلفة فأعجبوا بها،

منها من شيء فيه عبادة لغير الله عز وجل، فعليه أن ينكر بقلبه، ولا عليه التغيير بالقوة، فينشر الفوضى في تلك البلدان، لأن هذا ليس من صالح الإسلام ولا المسلمين، خاصة أن العالم أصبح اليوم قرية واحدة، يبلغ الخبر من أقصاه إلى أقصاه في لمح البصر، فيجب التعاون والتواصل بين الناس.

وتابع «مرزق»: إن دورنا كمسلمين تجاه الحضارات الأخرى هو الاستفادة منها، وأن نتعاون مع أهلها فيما يؤدي إلى رقي البلاد والعباد، وفيما يؤدي إلى نفع الناس عامة، وإلى الآن ينتفع المسلمون مما يتم اكتشافه

فيما حولهم: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)..

ومن هنا أن يجب على الجميع أن يتعاون، فهذا الوقت الذي نعيشه ليس وقت صدام كما يدعي البعض في الغرب، فالإسلام يدعو إلى التعاون بين الحضارات المختلفة، بإشاعة الأمن والأمان والاستفادة من العلوم ونحو ذلك ونفع البشرية بصفة عامة، وهذا مبدأ إسلامي، الرسول ﷺ يقول: (المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس) (أخرجه الطبراني)، (خير الناس أنفعهم للناس) عامة، ولم يقل: للمسلمين، وإنما نوصي بأن يتعاون أهل الحضارات في نفع الناس.. أما من ناحية العقيدة فإننا نقول لغيرنا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون/٦).

هذه الحضارات، وأنه يمكن الاستفادة منها من الناحية الهندسية والطبية والتاريخية كما هو معلوم.

تعاون لا تصادم

وأضاف: كذلك المسلمون لم يتصادموا مع الحضارات التي ذهبوا إليها وعاشوا بين أبنائها في كل زمان ومكان.

وعدم الصدام مع حضارات الأمم يعزز التعاون بين هذه الأمم وبين المسلمين. أما حينما يتم الاعتداء على حضارات غير المسلمين، فإن هذا يسبب مشاكل كثيرة، خاصة إذا كان المسلمون قلة في هذه البلاد، فليس من العقل أن يتصادم الإنسان مع حضارات الأمم، لكن بإمكانه التوافق معها، وما كان

ووجدوا أن الأخذ بها لا يضرهم. وذكر «الدسوقي» أن هناك مسئولية تقع على الحكومات في مسألة التواصل الحضاري، وهو أنه عليها منع استيراد ما يتصادم أو يعمل على هدم قيمنا، حتى على مستوى المواد الثقافية أو الفنية، وكل ما يتصل في هذا الجانب من أمور تتصادم مع ثقافتنا المحافظة، لأنه لا توجد حرية مطلقة في أي بلد في العالم، كل بلد له تقاليد ويفرض تقاليده على المجتمع، والذي يعيش في أوروبا أو أمريكا يدرك أنه لا توجد هناك الحريات التي يتحدث عنها الناس.

تواصل ممتد وعلوم متبادلة

بدوره، قال الدكتور أيمن فؤاد، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، إن النموذج البارز للتواصل الحضاري بين الأمم، يشبه ما كان من تواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات السابقة عليها، متمثلاً في حركة النقل والترجمة التي بدأت في بغداد في زمن المأمون العباسي، والتي أحدثت نقلة كبيرة كونها أطلعت العرب والمسلمين عن طريق نقل السريان من النصراني العباديين للتراث اليوناني الإنساني من جانب، والتراث البهلوي الفارسي والتراث الهندي السنسكريتي من جانب آخر، على أمور لم يكن لهم بها سابق علم، وهذا ما فتح المجال لانتعاش الفكر العربي الإسلامي، في كل القضايا المتعلقة بالمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية، وهذه التي صنعت إسهامات من العرب والمسلمين، إضافة إلى العلوم القديمة والتي نقلوها إلى العربية وأضافوا إليها من خلال علماء مثل الرازي

وابن سينا والبيروني وغيرهم، أي من الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الإنسانية، وهذه الحضارة أيضاً التي أعقبها حدوث تواصل بشكل عكسي من أوروبا في عصر النهضة، حيث تم نقل التراث العربي إلى اللغة اللاتينية، ومع ظهور حركة الطباعة كان من أوائل الكتب المطبوعة كتاب القانون في الطب لـ ابن سينا، حتى في الوقت الحاضر، يوجد جزء كبير مفقود من تراث أرسطو باليونانية، وتعرف عليه الغرب من خلال الترجمات العربية التي حفظت النصوص اليونانية. وهذه التي كتب عنها كتابا مهما الفيلسوف عبدالرحمن بدوي رحمه الله، بعنوان أرسطو عند العرب، وهي النصوص التي حفظت في الثقافة العربية لـ أرسطو، والتي شرحها في مرحلة لاحقة ابن رشد.

وأكمل أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، أنه إذا تأملنا في التواصل الحضاري في جانب العلوم، سنجد أن النقل أو التفاعل يتم بشأن العلوم الطبيعية والإنسانية، أما العلوم الدينية أو العقدية فتقتصر على أتباع الدين في كل مكان، بما يعني أن التواصل الحضاري فيما يتعلق بالعلوم والمعارف والاستفادة من المنجزات الحضارية المختلفة والمعاصرة وقت التواصل، ترمي إلى الاطلاع على العلوم الأخرى والاستفادة منها، فالذي كان عند المصري القديم انتقل وأصبح عند العرب والمسلمين، ثم انتقل وأصبح عند الغرب، مع إضافة كل حضارة للسابقة عليها.

وأكمل الدكتور أيمن فؤاد، أن هناك صورا عديدة للتواصل الحضاري في الوقت الحالي، وهي ما ننقله نحن من

التطور على الصعيد التكنولوجي على سبيل المثال، والعلوم، والهندسة، وما إلى ذلك، إذن علينا التواصل مع الحضارات الأخرى بعقلية انفتاحية، فإن لم أصنع هذا فأذن سأصبح متخلفاً، فالشعوب الأخرى ستسبقك وأنت ستظل متأخراً ووحيداً، فعلينا التواصل مع هذه الحضارات أيضاً، مع رفض ما لا يتطابق مع أخلاقنا أو ما لا يتفق مع مبادئنا، فنحن الآن لا نستطيع رفض التطور الهائل على مستوى الصناعات والخدمات البشرية العصرية الهائلة على سبيل المثال، لأن هذه ينطوي على التكامل بين الشعوب والحضارات، ومن يغلق فهو الخاسر لأن الركب الإنساني يسير، والمنجزات الحضارية تتواصل بلا توقف، وكل يوم يشهد العالم جديداً على كافة الأصعدة.

تأثر لغوي وثقافي

بدوره، قال الدكتور مختار الكسباني، أستاذ الآثار الإسلامية: إن التواصل الحضاري بين الأمم من أوجه التقدم الإنساني، ومن أبرز نتائجه التأثير اللغوي بين الحضارات المختلفة، فنجد على سبيل المثال ألفاظاً من لغة، باتت بعد مرور السنين أصيلة في لغة أخرى أو في حضارة أخرى، على ما بين هاتين الحضارتين من تباين واضح وخلفيات ثقافية قد لا يبدو بينها كثير ارتباط، وبعد مرور مئات السنين من التفاعل فيما بينها، لكن هناك عدة عوامل تحدد هذا التأثير عند التلاقي بين حضارتين، منها قوة حضارة وازدهارها في وقت التواصل مع الحضارة الأخرى، فالقوي يؤثر في الضعيف ويفرض ثقافته عليه ربما لا إرادياً، من منطلق حجم الانتشار وسرعته.



كيف نعلم إكرام الضيف للجيل الجديد

والغصة عند ارتحاله، ومن زعم أن حاتم أكرم العرب فقد ظلمهم جميعاً. ولقد يبلغ الأمر بهم أن يقوم لعشائهم مناد في الأسواق ينادي: هل من جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ أو راحل فنحمله؟. هكذا كان العرب منذ قديم الزمان أهل كرم وسماحة وجود.

ومن الجدير بالذكر أن إكرام الضيف قد حث عليه الإسلام وجعله صفة من صفات المؤمنين، وقد صح عن النبي ﷺ، كما روى البخاري ومسلم، أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، وجائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما أنفق عليه بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه». وإن النبي ﷺ كان معروفاً بإكرام الضيف حتى قبل البعثة، فعين رجع النبي ﷺ إلى خديجة من غار حراء فزعا من لقائه جبريل عليه السلام قال لخديجة: «أي خديجة، ما

الضيف أو عن أي معروف آخر حثنا عليه الإسلام. أما إكرام الضيف فله فضائل عديدة وثواب من الله. وهو من الخصال المحمودة التي كانت بين العرب في الجاهلية وكانوا يحرصون على الأمور المحمودة كصلة الرحم والصدق والجوار وإكرام الضيف وإطعام الطعام، وكانوا يتسابقون إليها ويتفاخرون بها ويرون تعطيها عارا ونقصانا على الرجل. وعلى مر العصور اشتهر العرب بكرم الضيافة، حتى أصبح إحدى شيمهم. ومما حدث عنه بعض الجوابين: «عاشرت العرب، وأقمت بينهم، فعرفت فيهم كثيرا من الخصال المحمودة»، ثم عد كلا منها حتى قال: «وأظهر ما رأيت فيهم من المحامد: الكرم، والسماحة، والجود، فيضيفون نزلاءهم ضيافة يوجبونها على أنفسهم ولو كانوا قتلة آبائهم، ويظهرون البشاشة عند قدوم الضيف،

لا شك في أننا نعيش في عالم تتكاثر فيه التطورات والتنمية ويسيطر فيه الإنسان على قمة كل شيء في شتى المجالات. كل يوم يخترع الإنسان أشياء مختلفة، ويعثر على ما لم يعثر عليه القدماء؛ علميا وتكنولوجيا، وحصل على العديد من المهارات في كل مجال فيما عرفه التاريخ وفيما لم يعرفه. ولكن للأسف.. في حين يرتقي الإنسان إلى القمة تبتعد العلاقات والروابط الإنسانية وتغيب عنه الخصال المحمودة ومكارم الأخلاق التي بعث الله عز وجل آخر الأنبياء والمرسلين ﷺ من أجل إتمامها. وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (أخرجه: أحمد، والحاكم، والبخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني).

ومن المعلوم لدى الجميع أن الإنسان في العصر الحديث أحيانا يغفل أو يتغافل عن أهمية صلة الرحم وإكرام

لي خشيت على نفسي».. فأخبرها الخبير، فقالت خديجة: «كلا، أبشر.. فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (رواه البخاري ومسلم).

ومما لا ينكره أحد أن صحائف التاريخ قد سجلت وقائع غريبة وعجيبة في إكرام الضيف. وإليك قصة واقعة في زمن النبي ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وقلن كلهن مثل ذلك، فقال ﷺ: «من يضيفه يرحمه الله». فقام رجل من الأنصار (يقال له أبو طلحة) فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني. قال: فعليهم بشيء ونومهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفيئيه، ففعلت، ففقدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله (أو ضحك الله) من فلان وفلانة». وفي رواية مثله ولم يسم أبا طلحة، وفي

آخرها فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(الحشر: ٩) (متفق عليه). وهناك كثير من الأمثلة قديما وحديثا لقصة إكرام الضيف. ومن المعلوم لدى الجميع أن العرب كانوا على مدى تاريخهم أهل كرم وعزة، فقد جاء الإسلام ليعزز هذه المكانة المحمودة.

ومما لا شك فيه أن لكل شيء أسلوبه الخاص، ومن أسلوب الضيافة وإكرام الضيف أن يقوم كل واحد من الضيف والمضيف بحقه على الآخر. وللضيافة أصول وآداب يجب أن تراعى حتى يشعر الضيف فعلا بأنه في موضع الترحيب، وعلى المضيف أن يرحب بضيفه مع بشاشة الوجه عند دخوله هذا أول ما يجب عمله؛ لأن ذلك من شأنه أن يدخل على قلبه السرور والفرح. ومن واجبات إكرام الضيف أن يجلس إليه صاحب المنزل ولا يتركه بمفرده إلا للضرورة، وأن يبدأ بالكلام والتحدث إليه ومؤانسته. ولكن مع الأسف.. جيلنا اليوم يتغافلون عن هذه الأمور، بل إذا أتى إليهم ضيف لا يقومون بما عليهم من الترحيب والتحدث والكلام، بل ربما قد تجدهم منكبين على هواتفهم المحمولة كأنهم يعيشون في عالم آخر. وربما تراه - أيها القارئ - مبتسما والبشاشة على وجهه في حضرة الضيف، لكن ابتسامته وبشاشته ليستا من أجل الضيف، بل لما رآه على شاشة الهاتف أو رسالة صديقه في «واتس آب»، ويرد عليه حتى تستمر الدردشة بينه وبين أصدقائه على الإنترنت وهو لا يشعر أن لديه أو أمامه ضيفا يجب عليه إكرامه.

ومما لا بد من التنبيه إليه أن العادات التي سيطرت على الجيل الجديد خطيرة جدة على مستقبل وحياة الإنسان والإنسانية. وتلك العادات التي تعرض لها أبناؤنا تؤدي إلى انهيار الخصال المحمودة من ثقافتنا ومن قلوب أبنائنا، فعلينا أن نقوم بإرشاد أولادنا وتعليمهم أهمية إكرام الضيف وآداب إكرامه كما تعلمنا من آبائنا وأجدادنا.

ومن واجبات إكرام الضيف بعد الترحيب به والتحدث معه أن يُقدم له شيء من الطعام والشراب قدر استطاعة المضيف، على ألا يبخل بما لديه من طيبات، وعند الجلوس لتناول الطعام على المضيف أن يفسح المجال للضيف أولا ويبدأ صاحب المنزل في تقريب الطعام والشراب منه، ذلك لأن الضيف ومهما كانت درجة قربه من المضيف، يستحي أن يمد يده إلى صنوف الطعام دون أن تقرب إليه. وفي بعض الأوقات يقدم الطعام والشراب ولا يقرب إلى الضيف وقد يكون المضيف مشغولا بأمر ما أو مستغرقا في الحديث من دون أن يلتفت إلى هذا الأمر المهم. ومما لا بد من تفصيله أن الجيل الجديد لا يهتمون بآداب إكرام الضيف بأحسن أوجهها وهم غافلون عن قيمتها الثمينة. لأنهم أحيانا يقضون حياتهم في قبضة الهواتف وعالم الإنترنت حتى نسوا بعض القيم الأساسية التي يرثها الإنسان عن الآباء والمجتمع الذي يعيش بينه.

ومن آداب الضيافة أيضا أن ينتظر صاحب البيت ضيفه حتى ينتهي من طعامه ولا يرفع يده عن الأطعمة قبل أن يرفعها ضيفه، حتى وإن شبع فمن الواجب أن يتظاهر بغير ذلك إلى أن يشبع ضيفه أيضا حتى لا يعرضه للحرج والتوقف عن الطعام وهو ما زال جائعا. وفي هذه الحالات أيضا جيلنا الجديد مختلف بحيث إنهم يأكلون مع الضيف وهم لا يهتمون به ويرفعون يدهم إذا شبعوا من دون انتظار أن يفرغ الضيف من الأكل. وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم عن إكرام

الضيف وإطعامه حيث قال: ﴿هَلْ

أَنْتَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ

﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ (الذاريات: ٢٤-٢٧).

أجل! إن الله سبحانه وتعالى يعلم عباده عبر هذه الآية كيفية الآداب عند دخول الضيف، يأتي في مقدمتها حسن الاستقبال والترحيب ثم الإسراع بتجهيز الطعام من دون استئذان الضيف في ذلك؛ لأن الضيف بالطبع سيرفض حرجا وخجلا، ثم يعلم الإنسان دعوة الضيف إلى الطعام وتقريبه إليه. ولكن اليوم كأن الجميع نسوا ما علمهم الله، اليوم كل الرؤوس عند استقبال الضيف منحنية والعيون مغروسة في شاشة الهواتف، وكأن الأفواه مغلقة منذ زمن بعيد يستقبل الجميع ضيفهم بكامل السكوت من دون كلام أو أي صوت كأنهم يرحبون به إلى مقبرة من مقابر الأشباح أو كأنهم يمشون مع ضيفهم على طريق يختبئ فيه العدو أو قاطع الطريق حذرين من كل سوء أو مكروه. ولزاما علينا أن نقول إن هناك أناسا بخلاء لا يرضون بإكرام الضيف ظانين أن الضيافة تنقص من مالهم شيئا، وهؤلاء الذين ذكر عنهم القرآن:

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿٣﴾ (الهمزة: ٢-٣)

وهم لا يعلمون أن إكرام الضيف أو إنفاق المال في سبيل الله يجلب لهم الرزق والبركة ويزيد في الحسنات في الدارين. وقد توعدهم الله أصحاب البخل بوعيد شديد وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: ٣٧).

وليس غلوا إذا قلنا إن الجيل الجديد ليسوا بخلاء في إنفاق المال بل إنهم ينفقون المال كثيرا ولكن إنفاقهم ليس في أمور الخير والحسنات، لكنهم ينفقون أموالهم في طريق الإسراف. واليوم تشهد الفنادق والأماكن السياحية والمتنزهات ازدهام الشباب، حيث يجتمعون حول طاولة الطعام ويطلبون كل ما هو موجود في قائمة الطعام ويأكلون الأطعمة التي طبخت بمختلف الأشكال والألوان والأحجام وهم غير محتاجين إليها. وفي الوقت نفسه، ينسون إنفاق الأموال من أجل إكرام الضيف وإعداد الطعام للفقراء والمساكين أو صلة الرحم.

لكن على الرغم مما ذكر من مشاكل فإن بعض الدول العربية، لا سيما دولة الكويت، لا تزال تتفق أموالها على الأعمال الخيرية في داخل بلدانه وخارجها، وتلك الأعمال تستحق الثناء والحمد. ولا غرو في أفعال تلك الدول العربية التي تسعى إلى الحفاظ على ثقافتها التي ورثتها عن الآباء، الذين كانوا أهل كرم وسماحة، وكان حاتم الطائي الذي اشتهر بكرمه وأبهر العالم به، وقيل إنه أكرم العرب، هو أحدهم، إذ إن هناك كثيرا من القصص الواقعية عن كرمه حتى ضرب به مثلا للكرم والجود.

وإليكم أغرب قصة عنه: قيل لأحد قياصرة الروم، بعد أن بلغته أخبار جود حاتم الطائي فاستغربها، إن لحاتم فرسا من كرام الخيل العزيزة عنده، فأرسل إليه بعض حجابه

يطلبونها. فلما دخل الحاجب دار حاتم استقبله أحسن استقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر، وكانت المواشي في المرعى فلم يجد إليها سبيلا لإطعام ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار ثم دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستسمحه في فرسه، فساء ذلك حاتم وقال: هل أعلمتني قبل الآن فإني قد نحرتها لك إذ لم أجد جزورا غيرها، فعجب الرسول من سخائه وقال: والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا. وله قصص عدة من هذا الصنف.

ومما يحزننا جميعا أنه كلما يصل الإنسان إلى قمة التطور والتكنولوجيا تموت إنسانيته من حياته. فبذلك علينا تعليم أبنائنا أهمية إكرام الضيف والأعمال الخيرية وحثهم على الحفاظ على ثقافتنا القيمة وإبعادهم عن الإسراف وأن نجعلهم سادة كرماء وأشرافا، ونفتح بهم بابا لعودة المجد والكرم حتى يشم العالم بأسره رائحته العطرة. وسيرتدي العالم حلته الجديدة حلة العز والكرم. وستكون كل القلوب مسرورة وتملأ الأرض بالفرح والخير وتتعزيز العلاقات والروابط بين البشر وبين الشعوب وبين الدول وتثبت بينهم الإخوة والمحبة وسنزين العالم بالتعاون على البر والتقوى إلى الأبد. ومن الآن فصاعدا يجب أن نهئ أنفسنا لأن نكون قدوة حسنة لأولادنا في الأمور الدينية كلها حتى يرث أولادنا عنا ما ورثناه عن آبائنا، ولذلك علينا أن نأمر أولادنا بتجهيز كل شيء لضيوفنا منذ صغرهم ولا ندعهم ينكبون على هواتفهم غافلين عن حضرة الضيف، وعلينا إحضار



مفهوم الحياة في الإسلام

اعتبر القرآن الكريم الحياة الإنسانية موضعا للاختبار، ومحلا لامتحان البشر، وأنها بالتالي وسيلة للفوز بالسعادة الأبدية في الحياة الأخرى. ولذلك كانت كل شعبة من شعب الحياة: من البيت والمدرسة والسوق والمصنع والمختبر والإدارة، تجارب مختلفة لتمحيص معدن الإنسان واختباره، تصديقا لقوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ﴾ (العنكبوت/٣).

والفلاح في دين الإسلام، ليس مجرد الانتساب إليه، والافتخار به، بل بالعمل والصدق والإخلاص، بحيث تظهر آثار القيم والتعاليم الإسلامية على المعتنقين والمؤمنين، في أوقات

كونية، فلا قيمة للحياة بدون امتحان ودروس، وقد ابتليت أمما سابقة ولاحقة بالتكاليف والمحن والصعوبات، ليعلم الصادقون من الكاذبين. وهذا يعني من جهة أخرى أن مناط النجاة

تبين الآيتان للناس أنه لا يكفي أن يقولوا: آمنا، ليعتبروا من أتباع الحق وأهله، دون أن يمتحنوا قليلا أو كثيرا، فيستبان أنهم مخلصون أو مدعون. جعل الله سبحانه وتعالى الاختبار سنة

الضيق، وكذلك في أوقات الرفاهية والرخاء.

رأى الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) أن في الآية استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء. وهذه الآية كقوله: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ (آل عمران/١٤٢). ومعنى الفتنة في الآية هو اختبار الذين صدقوا في دعواهم الإيمان، ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون^(١).

مفهوم الاختبار في الإسلام هو تأسيس لمبدأ وحدة الدنيا والآخرة: وقع كثير من الفلاسفة والمتكلمين في حيرة عندما تكلموا في الخير والشر، ولكن الإسلام جعل من الحياة ميدان كفاح متواصل من أجل الرقي الإنساني، وجعل الخير والشر امتحانا لجوهر الإنسان وتمحيص معدنه،

وبناء ذاته. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد/٣١). يؤثر عن الإمام الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا، فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستاذنا^(٢).

هذا شعور مرهف بالمسؤولية وبحمل الأمانة، وفي الوقت نفسه، قبول وتسليم لأحكام الله وأقداره. وهذا يقتضي كما لاحظ محمد إقبال (ت: ١٩٣٨م) أن يقبل المسلم على تركية

نفسه وتخليصها من الفساد، عملا بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك/٢). فالحياة هي تهيئة عظيمة للنفس كي تعمل وتتزكى وتترقى. والموت هو أول ابتلاء دافع إلى الخلود^(٣).

قدم الإسلام باعتباره آخر الديانات، تفسيراً كاملاً للوجود وحقيقة الكون. فبعد أن علم أتباعه ضرورة الإيمان بخالق حكيم وعادل، جعل من الحياة الإنسانية جسراً يعبره الفرد لينمي طاقاته، ويفعل الصالحات ليلقي الله عز وجل في يوم الجزاء الأكبر. وإن خلق الموت والحياة للابتلاء وتمحيص هو تصور إسلامي رفيع، ربط بين وحدة الدنيا البقوي والأخروي برباط وثيق.

وما أبعد هذا الشمول عن بعض الفلسفات والديانات الوضعية والنظريات المختلفة التي اعتنتها جماعات من البشر، فقدمت لهم نظرة بائسة عن الحياة. فالבודהية مثلاً قامت على تصور وحيد للحياة وهي كونها معرض أحزان ومورد كوارث وآلام. فالإنسان يستقبل الحياة بالبكاء، ويظل ملازماً له طوال حياته، ولا يفارقه حتى النهاية. وإن الحزن وفق هذه الفلسفة هو المضمون العميق لمغزى الحياة. وهو فطرة منقوشة في عمق النفس البشرية. وتبعاً لذلك فإنه لا وسيلة لإيقاف هذه الأحزان إلا بإيقاف الميلاد، والدعوة إلى الانتحار الكوني. ومن أجل الخلاص من هذا الشقاء المقيم لا بد من تحطيم الجسد واحتقاره، وإذلال رغباته وكسر شهواته، لأنه مركز الفساد^(٤).

أما الديانة اليهودية فقد اعتبر أتباعها أن الحياة هي ملك خاص للشعب

اليهودي. أما غير اليهودي فلا حق له في الحياة. وتهافتوا على نوع من الحياة المادية الموغلة في الشراهة إلى درجة الحقارة التي تذهب بكرامة الإنسان، فأباحوا المنكرات وحلّلوا الموبقات جرياً وراء المتع الحسية والنهم المادي. قال تعالى محذراً من هذا التعلق المادي

بحياة ولو كانت تافهة: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيٍّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/٩٦). قال الإمام ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): «إن حرصهم على الحياة ولو كانت ذليلة لمعرفتهم بذنوبهم، وأن لا خير لهم عند الله تعالى»^(٥).

أما المسيحية فقد حرف أتباعها أيضاً معنى الحياة، وأدخلوا فيها كثيراً من التعقيد والتلبس الذي يتصل بالخطيئة والتثليث، فالأرض عندهم أو الحياة الإنسانية، هي مملكة الله الحادثة، وأن المسيح عليه السلام هو تجسيد لحلول اللاهوت في الناسوت، وأنه نزل إلى مملكة الأرض ليكفر عن خطايا البشر. وقد أدى هذا التصور إلى نظرة معقدة في الحلول والخطيئة، حتى أصبح مفهوم الحياة بمقتضاها ضرباً من الوهم والتلبس. مثل هذا التعقيد جعل كاتباً مسيحياً هو نظمي لوقا (ت: ١٩٨٧م) يشيد بسماحة الإسلام وبساطته ونقاوته، التي تنظر إلى الأمور نظرة وضوح وواقعية لا نظرة غموض وتعقيد، حيث قال: «والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى، إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة، التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثيم كل أفعال المرء. إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة

ضوئها، واعتماد الوسائل الحضارية الحديثة والملائمة. والمطلب الأكيد في هذا الجهد، هو تكوين عقلية أبنائنا تكويناً فكرياً إسلامياً، بحيث ينظرون إلى الكون وما وراءه، وإلى الحياة وما بعدها، بالمنظار الإسلامي والقرآني، فيستطيعون رؤية الأمور بمعقولة ورشاد. وكلما ازدادوا نمواً من الناحية العقلية والعلمية، استطاعوا رؤية الحقائق بصورة أعظم، ورؤية آيات الله الكونية بصورة أكبر وأوضح، فيزدادون إيماناً ورسوخاً في الدين، وتحمسا له ودفاعاً عنه، والتضحية في سبيل مبادئه وقيمه الرشيدة.

الهوامش

- ١ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: (٢)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. (٢٦٣/٦).
- ٢ - محمود، عبد الحليم، الفضيل بن عياض، دار الرشاد، ط: (٢)، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (ص: ٥٢).
- ٣ - إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م، (ص: ١٣٧).
- ٤ - كلود لفنسون، البوذية، ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد، ط: (١)، بيروت، ٢٠٠٨م، (ص: ٤٧).
- ٥ - ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: (١)، بيروت، ١٤٢٢هـ، (١/١٨٢).
- ٦ - لوقا، نظمي، محمد الرسالة والرسول، دار الكتب الحديثة، ط: (٢)، القاهرة، ١٩٥٧م، (ص: ٧٨).
- ٧ - البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط: (١)، بيروت، ١٤١٨هـ، (٣٢٥/٥).



الإنسان ليطنى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (العلق/٦-٨). رأى الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) أن في هذه الآيات ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه، أن رأى نفسه استغنى. وأن الخطاب عام للإنسان، على سبيل الالتفات، تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيان (٧).

ومن طغيان الإنسان وإعجابه بنفسه وفكره، أن كل فلسفة أو نظرية يبتدعها، يحاول عن طريق وسائل التأثير المختلفة، أن يكون لها أتباعاً ينصرون دعوتها ومبادئها، وتكوين عقليات تفكر بتوجهاتها، وتتنظر بمنظورها إلى الكون والحياة، وتقيم الحياة بمعاييرها.

ونحن كمسلمين من الأولى أن تكون لنا نظريتنا الخاصة التي ننشئ عليها أفراد مجتمعنا بحيث يفكرون بالعقلية الإسلامية، وينظرون بمنظار الإسلام إلى الكون ورسالة الحياة، فلا يصابون بداء الانبهار والتقليد الأعمى. لأن الفلسفات المادية التي يبتدعها الإنسان ويفتر بها، ويدعو إليها بشتى الطرق، تتطلق دائماً من خطط ترتكز على وسائل التأثير والإغراء التي تجلب بها عقول الشباب، مستندة في ذلك على أحدث وسائل المعرفة والتأثير، من علوم إنسانية وتجريبية واستغلال نتائجها لتدعيم أفكارها عبر قنوات شهيرة ومسالك غزيرة.

والمسلمون باعتبارهم يملكون رسالة هادية ووحياً خاتماً، مطالبون بتكثيف جهودهم للمشاركة في حركية العلم والبحث، وعرض مفاهيم الإسلام على

كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان منه عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه. فالناس في كرامة البشرية أمة واحدة بغير تفريق، فقد جاء في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) ﴿١﴾.

بناء الذات المسلمة

إن المبادئ الروحية التي دعا إليها الإسلام تزكو بالنفس وتحررها من الأوهام والعقد، وهي لذلك تستلزم نوعاً من التضحية، ومقداراً من السمو والارتفاع بكثير من رغبات الجسد وملذاته. وهذا السمو لا يمكن أن يصدر عن نفس مترفة مدللة، لأن الترف يكون قد أضعف إرادتها وجعلها شديدة الحرص على استمرار ما هي فيه، فلا تتطلع إلى آفاق جديدة من التعاليم الصالحة، وإلى ما يرقى الأمة ويدفعها نحو التقدم والازدهار. ولهذا وصف الله تعالى المترفين في القرآن بأنهم أعداء كل إصلاح، وأنهم خصوم العدل والحق، يقفون في وجه مسيرة الحياة، ويعطلون نموها الطبيعي، ويقدمون تصوراً آخر للحياة، يقوم على الخداع والضلال والإلهاء، والتي نشاهد آثارها في منتجات الحضارة الحديثة.

إن الإنسان ليطنى

أمد الله تعالى الإنسان بالعافية والقوة والذكاء، ليقوى بها على طاعته وحسن عبادته والإحسان إلى العباد. ولكن كثيراً من الناس يستعملون تلك النعم في الترف والظلم والكفر. وهذا التحليل للنفس البشرية مقرر في القرآن الكريم منذ بدايات نزوله. حتى يأخذ المسلم حذره من هذا الخطأ الجسيم في فهم طبيعة الحياة الدنيا وحسن السير فيها، والذي وقع فيه كثير من الناس. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصاً من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحية المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكر بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يأتي:

أولاً: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني.
- أن يذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانياً: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعاً إلكترونياً ومدققاً لغوياً.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشياً مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعاً للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



التكريم الإلهي للإنسان مظاهره وآثاره

الإنسان ذلك المخلوق المكرم منذ بدء خلقه وبعد موته وبعثه، وبدء رحلة الخلود الأخروية والتي يمتد التكريم الإلهي الذي لا نهاية له لأهل الجنة، خلود بلا موت.

بداية التكريم

التتويه الإلهي بخلق آدم وفي هذا تشريف ورفعة لشأنه هذا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (ص: ٧١)، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاطٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٨)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «تتويبه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له».

وتتوالى مظاهر التكريم كما صورتها لنا آيات القرآن الكريم منها:
- تعليمه لأدم الأسماء واستخلافه في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿٣٢﴾ قَالِ يَادُّمُ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (البقرة: ٣٠-٣٣).

- خلق الله لأدم بيديه، ﴿قَالَ يَتْلِيَ مَا مَعَكَ أَنْ سَجَدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾



(ص: ٧٥).

- نفخ الله في آدم من روحه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩)، وقد بين النبي ﷺ كيفية خلق الإنسان، فعن بسر بن جحاش القرشي، أن رسول الله ﷺ، بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «قال الله: بني آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟» حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وثيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة؟» (أخرجه أحمد).

- أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجدوا تشريف وتكريم، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

- حفظه تعالى لعباده الطائعين من غواية الشيطان، ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣) (ص: ٨٢-٨٣).

- خلقه في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

(التين: ٤)، وقد وضع وأبان علماء التفسير مظاهر الخلق في أحسن تقويم الواردة في آية التين، قال القرطبي في تفسيره: وهو اعتداله واستواء شبابه؛ كذا قال عامة المفسرين، وهو أحسن ما يكون؛ لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه، وخلق هو مستويا، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها. وقال أبو بكر بن طاهر: مزينا بالعقل، مؤدبا للأمر، مهديا بالتمييز، مديد القامة؛ يتناول مأكوله بيده.

وقال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا مريدا متكلمًا، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما. وهذه صفات الرب سبحانه، وعنهما عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها. وتأتي آية الأسراء لتجمع لنا مظاهر التكريم الإلهي للإنسان وتجميلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الأسراء: ٧٠)، يقول السعدي في تفسيره: وهذا من

كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

شرف العبودية لله سبحانه وتعالى: بعد هذا التكريم والتشريف الذي أسبغ الله تعالى على الإنسان في مظاهر الخلق والتفضيل على المخلوقات كافة، يأتي التكريم بمهمة الإنسان في هذا الكون، والذي يدور حولها مناط وجوده، قال

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال الله تعالى:

﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠).

حرية الاختيار:

منح الله عز وجل الإنسان حرية الاختيار، وحرية الاختيار تستلزم أن يكون الإنسان مسؤولاً عن أعماله، وقد بين عز وجل للإنسان سبيل الهداية وعاقبته، وسبل الضلال وعاقبتها، وحرية الاختيار هذه من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠)، أورد القرطبي في تفسيره: يعني الطريقتين: طريق الخير وطريق الشر، أي بينهاها له بما أرسلناه من الرسل، والنجد الطريق في ارتفاع، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما.

وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ ۝٢ ﴾ (الشمس: ٧-١٠)، قال ابن عباس: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ ﴾ بين لها الخير والشر.

وقد منح الله عز وجل آدم وزوجه حواء حرية الاختيار كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَتَّذَرُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٣٥)، فهذه الآية اشتملت على أمر ونهي، وعليهما أن

يختارا ويتحملا مسؤولية الاختيار، وبالفعل كان اختيارهما مخالفة الأمر والأكل من الشجرة فكانا عليهما أن يتحملا عاقبة ونتيجة هذا الاختيار، وهذا ما بينته الآية التالية: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة: ٣٦).

إرسال الأنبياء والمرسلين:

بالرغم من أن نعمة العقل مظهر من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، إلا أن الإنسان لو أسلم زمام أموره لعقله معتمداً على اجتهاداته وتصوراته العقلية، لضل وتشعبت به السبل، ولعجز عن ضبط حياته وشؤونه وعلاقاته مع الآخرين.

ومن جهة أخرى يعجز العقل الإنساني عن الفهم الدقيق لحقائق ومظاهر الكون المنظور فضلاً عن عجزه التام عن فهم الأمور الغيبية، لأن الغيب لا يدرك بالحواس، التي يعتمد عليها العقل في إصدار أحكامه، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنَىٰ مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم: ٢٨).

لذلك كان إرسال الرسل والأنبياء لكل الأمم من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، داعين إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومعلمين لهم ما ينفعهم من شرائع أنزلها الله سبحانه وتعالى، تسوس شؤونهم وتصلح بها أمور دنياهم وآخرتهم، مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم، ومنذرين العاصين النار والعذاب، قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥)، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦).

إرسال النبي م

حمد ﷺ:

مظاهر التكريم الإلهي للبشر لا نستطيع أن نحصيها على أن أعظمها وأجلها هي إرسال النبي ﷺ بشيراً ونذيراً لجميع البشر، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨)، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤)، ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وهو ﷺ بشر مثلنا يعيش بينا يجالسنا ويتكلم معنا، ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، هذا الرسول رؤف رحيم بأمة حريص على هدايتهم، قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وفي الحديث: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَزَّلْتُكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَتَعْنَى فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم: ٢٦)، وقال عيسى: ﴿إِن تَعِدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك» (أخرجه مسلم). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي كمثلي رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا أخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار فتغلبنني تقمنون فيها» (أخرجه مسلم).

ومن تكريم الله تعالى لاتباع النبي ﷺ أن جعلها خير الأمم، فعن معاوية بن حيدة أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، قال: «إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» (أخرجه الترمذي).

ومن مظاهر التكريم الإلهي لاتباع النبي ﷺ في الآخرة بعد دخولهم الجنة: رؤية الله ورضاه عليهم، وقد ذكر الله عز وجل هذا النعيم وهذه التكرمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يُّوْمَرُ نَاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣).

وهذا النعيم وهذه التكرمة يحرم منها الكافرين، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُورُونَ﴾ (المطففين: ١٥)، وعن صهيب الرومي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) (أخرجه مسلم والترمذي).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -عز وجل- يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا» (متفق عليه).

يقول ابن الأثير: «رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو». الإعراض عن تكريم الله للإنسان:

على الرغم من هذا التكريم الرباني للإنسان إلا أن هناك من يمرض عن هذا التكريم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤).

وإذا كان مقتضى التكريم الرباني للإنسان أن يكون مستقيما على أمر الله أمرا ونهيا، كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: وإنما غاية الكرامة: لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧).

إلا أن هناك من حاد ومال عن طريق الهداية إلى الضلال والغواية، فحاد ومال عن التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن الحلال إلى الحرام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥).

وفي زماننا هذا نجد أن أولياء الشيطان ارتضوا لأنفسهم معايير للكرامة على خلاف ما ارتضاه الله لعباده، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨)، فمثلا: صار الطاعن في القرآن والسنة مبدعا يكرم ويحتفى به، والعري والزنا معيارا لكرامة المرأة، والدياثة معيارا لكرامة الرجل، وهكذا الربا والرشوة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).



خير أمة



إلى حد وضع الحلقات في الأذان، وارتداء السلاسل على الصدور، ونقش الوشوم التي تشوه بزخارفها جسد من يظن انه يتزين بها.. الخ. أما عن النساء فحدث ولا حرج، فبين الملابس القصيرة من أسفل، والملابس الحاسرة من أعلى فقدت المرأة حيائها.. وعن أي حياء نتحدث وقد اعتادت العري منذ الصغر فلم يمنعها عنه سوى برد الشتاء القارس، فضلا عن تشبه البعض منهن بالرجال حتى في أساليب قص الشعر.. وهكذا قد يكون من الصعب أحيانا تمييز الذكر عن الأنثى في بلاد الغرب أو بلاد الشرق من غير المسلمين.

طيب القول والفعل هو سمة المسلمين الغالبة

بالتأكيد إن مظهر الإنسان ينعكس على جوهرة، فإذا نظرنا إلى المجتمع الإسلامي في بلد ما، ففي الغالب لن نسمع آذانا في الطريق فحش قول، ولن ترى أعيننا فحش فعل.. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (أخرجه الترمذي، ١٩٧٧)، والمسلمون، رجالا ونساء، أغلبهم يلتزم بذلك الحديث.

فكل مسلم ومسلمة يفهم معنى الحرية بحق، ويعلم أن الحرية لا تعني

يستطيع أن يدرك ما إذا كان أغلبهم مسلمين أو غير ذلك.

ففي البلاد الإسلامية؛ ها هم الرجال وقد ارتدوا الأردية التي تستر أغلب أجسادهم على اختلاف أنواع وأشكال تلك الأردية، ذلك فضلا عن المظهر العام الذي ينم عن أننا أمام رجال لا شك في ذلك من حيث هيئة الوجه وتصنيف الشعر فهم لا يعرفون التشبه بالنساء.

وها هن النساء وقد ارتدين الحجاب أو النقاب، فازددن وقارا وحياء ينم عن أخلاق سامية، ومبادئ قيّمة، بل إنه حتى من لم تلتزم بالحجاب منهن فقد وضعت لنفسها حدودا لا تتعداها من موديلات الفساتين المحتشمة أو حتى البناتيل الواسعة الكاسية التي تنطق بالثقافة الإسلامية، تلك التي لا تستطيع المرأة المسلمة الاستغناء عنها أو الخروج عن مألوفاها.

وعلى النقيض في البلاد التي تدين بغير الإسلام؛ فتحت مبررات الحرية الشخصية إذا بالرجال يسرون بغير منهاج ينظم أرديتهم، فمنهم من يرتدي الشورت القصير.... وكفى، ومنهم من يرتدي البنطال الممزق من كل جانب حتى أنه ليكشف من الجسد أكثر مما يستر، أو يرتدي البنطال وقد سقط عنه كاشفا ملابسه الداخلية.. إلى غير ذلك من الملابس العجيبة والغريبة، والهيئات المريبة التي وصلت

إذا نظرنا إلى تردى المستوى الأخلاقي لأغلب البشر في العالم اليوم، وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بما كان يجب أن يتحلى به البشر من احتشام في الملبس، ومن حياء في أساليب التحاور، فضلا عن نشر التراحم، والتآخي، والتسامح، والتغاضي عن معاني الحقد والانتقام، فسنتكشف أن المسلمين فقط هم من يحافظون على الأخلاق الحميدة السامية في الأغلب الأعم، بينما يتردى العالم في دركات من العري والفحش في السلوك وفي الألفاظ التي تدور بها الألسنة حتى أصبح من المعتاد لدى الكثير من البشر في أقاليم الغرب أو أقاليم الشرق استعمال بعض المصطلحات والكلمات التي يندى لها الجبين، تعج بها الفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعي من دون أدنى إحساس من مستخدميها بأنهم يخدشون حياء من يسمعونهم أو يراهم، وإلا فإن من يقومون ببث تلك الألفاظ يقصدون بالفعل نشر تلك الأخلاقيات والألفاظ البذيئة بيننا.

الرداء المحتشم هو عنوان المجتمع الإسلامي

بمجرد خروج المسافرين من بوابات المطار بأي بلد من بلاد العالم، وبمجرد إلقائه نظرة سريعة يتفحص فيها المظهر العام لأهل ذلك البلد،

الخروج عن الأخلاق الحميدة، ولا تعني الانفلات من أعراف المجتمع وتقاليده، كما أن الحرية لا تعني التعدي على مشاعر الآخرين بخدش حياتهم بالمنابر الخليعة والتصرفات البذيئة جهارا نهارا على الأرصفة وفي الطرقات.

أما في البلاد التي تدين بغير الإسلام فإن الناس يفهمون معنى الحرية فهما خاطئاً، فهم تحت ستار مصطلح الحرية الشخصية يرتكبون الكثير من الموبقات، تتنوع بين ألوان الانحلال الأخلاقي المتعددة في الشوارع، وفي المتنزهات والحدائق، وعلى الأرصفة بين الفتيان والفتيات وبين الرجال والنساء، ولا يستطيع أحد المارة أن يعترض على مرتكبي تلك التصرفات الخادشة أو أن ينصحهم بكلمة.

بل لا يستطيع أحد المارة حتى أن ينظر إليهم نظرة اشمئزاز وإلا أصبح منتهاكاً لحياتهم الشخصية، مما يضعه تحت طائلة القانون، حتى وصل الأمر في تلك البلدان إلى تهديد الكيان الأسري بالضياع، حيث عزف الكثير عن الزواج هرباً من تحمل تكلفته ومسؤولياته مكتفين بالمتعة السريعة الزائلة.

ونعود إلى بلاد الإسلام فنجد أنه حتى إذا زلت قدم أحد المسلمين في معصية أو خطيئة فهو يحاول قدر جهده إلا يراه أحد حال ارتكابها، ليس من باب النفاق والازدواجية كما ينشر بعض أصحاب الفكر الهدام، وإنما من باب الحياء، ومن باب عدم المجاهرة بالسوء خوفاً من الله سبحانه وتعالى، وإيماناً بحديث الرسول ﷺ المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر

الله عنه» (أخرجه البخاري، ٦٠٦٩).

التراحم والتسامح خلق إسلامي راسخ

في بلادنا، نحن المسلمين، تجد التراحم والتسامح سمة عامة بين الجميع حتى ولو اختلفت ديانات أهل البلد الواحد، فجميع المسلمين يتلون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، ومن ثم هم يؤمنون بأن لكل إنسان أن يمارس شعائره الدينية كما يشاء دون اعتداء على حريات الآخرين ومن دون جرح لمشاعرهم.

في بلادنا، نحن المسلمين، جميعنا يؤمن بالحديث المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» (أخرجه البخاري، ١٣). فمن منطلق هذا المعتقد الراسخ في قلب كل مسلم فإنه يحب لجميع الناس من حوله ما يحبه لنفسه من خير، ومن ثم فإن المسلم يجتهد ألا يظلم غيره، وأن يؤدي إلى كل صاحب حق حقه، وأن يعدل بين الناس.

بينما تجد في بلاد المشرق والمغرب الكثير من الناس ممن يدينون بغير الإسلام يعتقدون على من يخالفهم في الرأي أو الاعتقاد بالقول وبالفعل، بل قد يتطور الأمر حتى يصل إلى إشعال فتيل الفتن والحروب بين الدول مما يترتب عليه القتل والتشريد والتهجير القسري... فضلاً عن جميع الانتهاكات التي تتجاوز تصور أي عقل رشيد منضبط، وما زالت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية شاهدتين على تلك الانتهاكات بما ترتب عن كل منهما من قتل ملايين

البشر في أعوام معدودة.

الأمة الإسلامية هي خير الأمم بالتزامها حدود ربها

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) لقد شرف الله جل وعلا أمة الإسلام بشرف لا يذانيه شرف، إذ وصفها وصفا صريحا بأنها خير أمة أخرجت للناس بشرط القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى حق الإيمان.

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى المسلمين بأنهم أمة وسط بين الأمم يشهدون على جميع الناس يوم القيامة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّنُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

وتلك الآيات وغيرها في كتاب الله العزيز تضع على عاتق كل مسلم وكل مسلمة واجبا إضافيا يفرض عليهم بذل الجهد حتى يكونوا جديرين بحمل الأمانة التي كلفهم بها الله جل وعلا، تلك الأمانة التي تحتم على كل إنسان مسلم أن يكون نموذجا للإنسان الذي جاء ليعمر الأرض ويصلحها، فلا يفسد فيها، ولا يسفك الدماء، وأن يكون نموذجا للإنسان العابد القانت لله رب العالمين.

فعلى هدي القرآن الكريم، وعلى هدي سنة الرسول ﷺ يبقى المسلمون خير أمة.. أمة صدق.. أمة أمانة.. أمة بر.. أمة إحسان.. أمة تراحم.. أمة إتقان.. أمة حياء.. أمة عفاف.. أمة تحمل لواء الأخلاق الحميدة عاليا فيشع ضوءها ليشمل العالم كله.



فخر الدين قباوة.. العالم العامل

علمائها، وكم جاهد في سبيلها،
وكم هام في عشقتها، حتى لقد ذاب
فيها! فهي هو.. وهو هي.
وكأني بلسان حاله يقول لمن لاهمه
في حبه:

لا تلوموا عاشقا
بحر الشوق بقلبه
كلما لاح له
طيفها لاذ بقربه
همه رفعته
وسناها يرتقي به
بل كأني به يردد:

أهيم بحب من أهوى واني
لأرجو الخلق طرا أن يهيموا
إنه فخر العربية الأستاذ الدكتور
فخر الدين قباوة أطلال الله في
النعمة بقاءه.. وأمتع به وبعلمه.

وحذب لا يعرف الضجر، وجد
لا يعرف الهزل، وجلد لا يعرف
الراحة.

راحته في العربية، وأنسه فيها،
وجهاه في سبيلها.

فبها عرف، وبها اشتهر، وبأسرارها
شغف وانبهر، وبرفعتها ارتفع
وأبهر.

كم سعد بها وأسعد، وكم نهل منها
وأنهل، وكم أشأم فيها وأنجد!

كم تعلم منها وعلم، وكم غاص في
بحورها، وأخرج من لآئها ودررها،
وكم نشر من كنوزها وجواهرها!

كم أحيا من مخطوطاتها، وكم
أخرج من خبئها، وكم حقق من
نصوصها، وكم كشف من غميسها!
كم درس من طلابها، وكم خرج من

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

الحمد لله ولي كل نعمة.. والصلاة
والسلام على من أرسل للعالمين
هدى ورحمة، وبعد:

فإننا نكرم اليوم علما من أعلام
العربية، وعالما من علمائها،
وأستاذنا من أساتيدها، وفارسنا من
فرسانها..

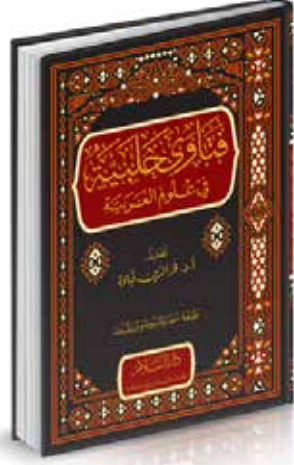
أبلى فأحسن البلاء، وأعطى فأكثر
العطاء، وأحسن فأجاد الإحسان..
لم تلن له قناة، ولم يكل له متن، ولم
يجف له قلم، ولم ينعطف به سبيل،
ولم تنخفض له راية، بل مضى على
عهده.. يرفع راية العربية أينما حل
وارتحل، في دأب لا يعرف الملل،

وقفة مع النتاج المبارك

وإنما يعرف العالم بنتاجه وما قدم فيه، ونتاج شيخنا أعظم من أن يحاط به في هذه العجالة، وهو متنوع تنوع معرفته بالعربية ورسوخ قدمه فيها، ما بين تحقيق وتأليف، ونحو وصرف، ولغة وعروض، ونشر للدواوين الشعرية والمعلقات الجاهلية، والنصوص الأدبية، إنه النتاج الذي أحاط بعلوم العربية وفنونها، حتى لقد بلغ الثلاثمئة ما بين مجلد وكتاب وبحث ورسالة ومقال، منها مئة مجلد على الأقل، والباقي بحوث ومقالات.. فلا تكاد تجد فنا من فنون العربية أو علما من علومها، لم يشارك فيه بتأليف أو تحقيق أو بحث أو تحليل أو درس أو دراسة أو تدريس أو محاضرة أو مجلس، وما أعظم ما جلس من مجالس.

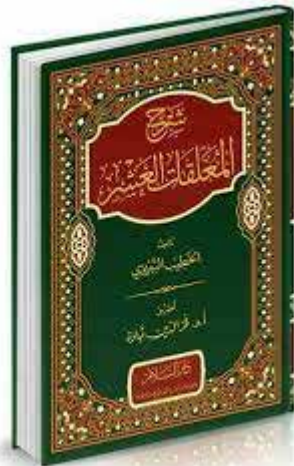
فقد أحيأ سنة السلف في المجالس العلمية التي عقدها في المساجد والمحافل والمعاهد والمنازل، حيث أمه الطلبة من كل مكان، ووصلت مجالسه إلى أقاصي البلاد، لا سيما في الأونة الأخيرة التي انتشرت فيها مجالس التعليم عن بعد بسبب جائحة كورونا فرج الله عنا وعن البشرية جمعاء منها وكشف كل بلاء وبلية.

وخار الله له فكان من المهاجرين، إذ ترك بيته ومكتبته وأهله ووطنه، ليهاجر بدينه ولغته إلى هذه البلاد، وليجد فيها الأمن والأمان والنصرة والتمكين، والحفاوة والتكريم، وهو



أهل لكل ذلك، ولعله في هذا قد لحق بشأو المهاجرين الأولين، واقتفى آثارهم، وقبس شيئاً من نورهم.

وما زلت أذكر أنني كنت في بداية سني دراستي الجامعية، حين تلمذت - مع كثير من زملائي - لكتب الشيخ، وأفدت منها، ولا سيما كتابيه المورد النحوي والمورد الكبير، فقد كانا نعم المورد لنا في دراسة النحو والصرف والإعراب والتطبيق الصرفي واللغوي على نصوص منتقاة بعناية بالغة من



عيون الشعر والأدب الرفيع الذي يعلو بلغة الطالب ويسمو بها، فضلاً عما تشتمل عليه من تطبيقات مختلفة.

ثم أسعدني زماني بلقائه في الكويت عندما حل ضيفاً عليها وعلى محافظها العلمية ودواوينها الثقافية ومساجدها العامرة، فقدمته في غير ما مجلس، ونهلت - كما نهل الكثيرون - من علمه وفضله.

والمتتبع لنتاج الشيخ وجهوده في العربية يلحظ أنه يحمل على عاتقه أمانة.. ويفي بميثاق.. ويؤدي رسالة نذر لها نفسه، وشرى فيها عمره، وهو لا يفرق بين الدين واللغة بل يعدها شعيرة من شعائر هذا الدين، يبشر بها أينما حل، وينشرها أينما ارتحل.

إنني لأحسبه -والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً- من الصفوة التي شرفها الله بقوله: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ فهو من النخبة المصطفاة التي أخذت الكتاب بقوة.. ومسكت به... وأذعنت له.. وقامت بحقه.. فدرسته.. وفسرته.. وأعربته.. وأتقنت لغته.. ونافحت عنها.. وذاذت عن حياضها.. ورفعته رايتها في كل مكان.

وقد كان لتحقيق المخطوطات والعناية بها النصيب الأوفى من جهود الشيخ، إذ أخرج لعشاق العربية وطلابها ومحبيها طائفة من نصوصها ومخطوطاتها لا يكاد يستغني عنها أحد، وما أحسبني

مبالغاً إن قلت: ما من مكتبة في دنيا العربية تخلو من تحقيقاته، مثل: الاختيارين للمفضل والأصمعي، والألفاظ وإصلاح المنطق لابن السكيت، وشرح اختيارات المفضل، والإيضاح في شرح سقط الزند، وشرح المعلقات العشر، وتهذيب إصلاح المنطق، وتهذيب الألفاظ، وشرح المقصورتين، والوافي في علمي العروض والقوافي للخطيب التبريزي، والجمل في النحو للخليل بن أحمد، والجنى الداني في حروف المعاني، ومغني اللبيب، وشرح الألفية للمرادي، وشرح بانث سعاد، وشرح قواعد الإعراب، وشرح الملوكي في التصريف، وشرح شعر الأخطل، وشعر زهير بن أبي سلمى، والقسطاس في علم العروض، ومبرز القواعد الإعرابية، والممتع الكبير في التصريف، وتفسير الجلالين، ورياض الصالحين... وله في التحقيق منهج متميز، جلالة وبين أصوله في كتاب أفرد لها الغرض، هو: علم التحقيق للمخطوطات العربية.

طلابه وتلامذته

وأما ما تخرج به من علماء، فهم أكثر من أن يحصون، وقد ملؤوا الدنيا علما وعربية، وحسبي أن أقول: إنني لم أر أخا حلبيا - أو دارسا في جامعة حلب - سواء كان باحثا في العربية، أو عالما بها، أو أستاذا فيها إلا وقد أفاد من علم الشيخ أو جلس في مجالسه، أو تلمذ له، أو نهل من معينه، ومن لم يتخرج به فقد أفاد من كتبه

ومؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته التي طبقت الآفاق ونهل منها القاصي والداني، والعالم والمتعلم، والطالب والأستاذ، والباحث والمحقق.. ومن عرف الشيخ عن كثب عرف فيه الإخلاص لدينه ولغته، وعرفه عالي الهمة، حاد الطبع، حازم الرأي، عزيز النفس، أشم الأنف، أبي الضيم، لا يعنو لقهر، ولا يطمئن إلى غضاضة، ولا يصبر على خسف، ولا يقيم على مذلة. إن حاله وقاله ليذكر بقول القاضي الجرجاني عن نفسه: يقولون لي فيك انقباض وإنما أرى الناس من دناهم هان عندهم ومن أكرمتهم عزة النفس أكرما ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحرتحتل الظما ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما



ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما ولكن أذلوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما ومن فضل الله علينا وعلى الشيخ أنه ما ونى ولا فتر، برغم تقدم العمر، فهو شعلة نشاط ورغد وعطاء، ولعل خير ما يعبر عن حاله ويوجز أمره قوله الذي خطه بقلمه في سيرته: وأما شعاره الدائم فهو الجهاد بالعلم والصبر والإنتاج والإخلاص، مع حمد الله على دوام الإيمان والصحة والعمل، ووصيته للزملاء والمسلمين جميعا هي قول النبي ﷺ: «إن قامت الساعة، وببدا أحدكم فسيلا، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل»، وقوله أيضا: «إن الله - تعالى - يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، والقول المأثور: «إنك على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتين من قبلك». وختاما فإني أسأل الله العلي القدير، أن ينسأ في عمر فضيلة الشيخ الجليل فخر الدين وفخر العربية، ويمتع به، ويمتعه بالصحة والعافية، ويجزيه عن هذا اللسان الشريف خير ما جزى عالما عن لغته، ومعلما عن طلبته، ومصلحا عن أمته. وإنني لأدعو من هذا المنبر طلبته وأحابه وأبناءه إلى صنع كتاب تكريمي له، يحيي علمه، ويعلي ذكره، ويحلل فنه وفكره، ويكون نواة لرسائل جامعية تعلم الباحثين كيف تدرس العربية.. وكيف تدرس؟ وكيف تحقق المخطوطات.. وكيف تخرج؟ وكيف تسلك سبل العربية وكيف تذلل؟ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المحاماة في الإسلام

وجوارحه.

مكانة المحاماة من القرآن والسنة

كما ذكرنا تكثر الأدلة ليس فقط على شرعية مهنة المحاماة في الإسلام، بل على مكانتها وأهميتها، بكثير من الأدلة الصريحة والواضحة والمباشرة وأخرى يمكن القياس بها لاستنباط هذا الحكم.

بداية من الحديث المشهور الذي قال فيه ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، واللّه في الدنيا والآخرة، واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١).

غيره الذي لا علم له بالقانون وإجراءاته، أو بفنون الخطابة والإقناع التي هي من المقومات الأساسية لكل محام، بل لا يصلح أن يكون محاميا من فقدها وإن عرف القانون وعلمه، بل إن في هذه النيابة والوكالة عن الغير أجرا كبيرا إذا ما اختار المحامي أن ينحاز للدفاع عن الحق، فكما قيل: «في كل قضية ظالم ومظلوم... فكن مع المظلوم دوما»، ولا أجد أي حرج أو تعب كي تتسابق الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لبيان عظم أجر هذه المهنة في الآخرة، بخلاف الأجر الدنيوي الذي يتقاضاه المحامي، ولكن أي محام؟ كما أوضحنا من اختار الحق ليشبته أو ليدافع عن مظلوم أو عن ذي حظ عاثر قيد إلى قفص الاتهام، وعمل بهذه النوايا بقلبه

لم تتعرض مهنة ما لنظرة سلبية رغم سموها وعلو شأن من ينبغي لهم القيام بمهامها، مثلما تعرضت مهنة المحاماة، واشترك في تكوين تلك النظرة اعتقاد خاطئ عند البعض أشاعوه بين الناس، وللأسف شارك في الإحساس بذلك الشعور تصرفات بعض من ضعاف النفوس من الذين ارتدوا اللون الأسود المميز لأصحاب تلك الرسالة حول العالم.

لكننا إذا نظرنا بمنظار دقيق لوجدنا في هذه المهنة ارتباطا وثيقا وعروة لا تنفصم مع ما جاء به خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ لإصلاح الناس والدنيا كلها، رغم أن المهنة الاحترافية المعروفة حاليا لم تعرف في صدر الإسلام.

ذلك لأنه إذا وعي المحامي مهنته، لوجد مضمونها كفاحا ونيابة عن

وما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها، أثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»^(٢).

والمحامي يفعل كل هذا وأكثر في عمله، فأى كربة أعظم من كربة السجن وسلب الحرية لبريء، أو إدانة تمس شريفاً. وفي المحاماة أيضاً الكثير من صور «التيسير على المعسر»، فها هم المحامون يتصدون لأكلي الميراث المانع لتوزيعه كما حدد الله، وقد شاهدت بعيني في العمل الكثير من المحامين الذين يدفعون من أموالهم للتيسير على الفقراء من الناس الذين تضطربهم الظروف للتقاضي، ومنهم من وجدته ذات يوم تستغيث به سيدة فقيرة قد ضاعت ملامح وجهها بعد أن ضربها زوج غاشم، فإذا به يعطيها مالا للعلاج وعمل التقرير الطبي اللازم للقضية.

وهناك من رأيهم يسعون للصلح بين أشقاء تقطعت بينهم أواصر الرحم، مؤثرين هذا على مال سينالونه لو طالت القضية، ورأيت من يصلح بين الزوج وزوجته ويذكرهما بأولادهما ويذكرهما بالفضل بينهما، بينما قرأت فيما قرأت من كتاب «المحاماة فن رفيع» للأستاذ الكبير محمد شوكت التوني الكثير من الأمثلة المشرفة الناصعة، منها من أوضح لزوج شك في زوجته ظلماً حقيقة الأمر، أو ذلك المحامي الذي بحث طويلاً عن ورثة موكل لديه ليسلمهم ميراثه الكبير الذي لم يكونوا يعرفون مقداره أصلاً بينما كان يمر هو نفسه بأزمة مالية طاحنة.

وبشكل عام، فالمحاماة في حقيقتها هي عون من قادر إلى غير قادر، فهي حق إنساني وشرعي للناس

جميعاً كي تنتظم حياة الناس ومصالحهم في أمان دون خوف من بطش أو ظلم، فإذا كانت الحقوق هي مكربة من الله للإنسان، فإن المحاماة هي حائط الصد ضد التلاعب بها أو سلبها، وفي هذا الإطار يسمو الإسلام فوق الكثير من المذاهب الفكرية والسياسية الوضعية من الشرق والغرب التي تعتبر الحقوق إما منحة من الطبقة العليا أو الحاكمة، وإما أنها شيء ليس لصيقاً بالإنسان بل يجب أن يدخل الصراعات للحصول عليها، لكن الإسلام وعلى العكس من هذا يعطي للناس حقوقهم ويعتبرها لصيقة بهم، ويمنع القوي من الظلم والتجبر، وبهذه الرؤية يمكن أن نرى المحاماة إذا ما سلمت من شوائب الطمع وموالات الظالمين هي أداة تقرأها الشريعة للدفاع عن الناس وحقوقهم وحفظها لهم.

ومن الأدلة الشرعية التي تؤكد ما ذهبنا إليه قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)،

فكان إقامة العدل والقسط هي الأساس الأول للناس بعد الإيمان بالله وكتبه ورسله، وهذه حقيقة تتكرر في كل مواضع التاريخ، فكم من دولة كبرى أسقطها الظلم، وكم من مجتمعات صغيرة أحيها العدل بإذن ربها.

مفاتيح الخير والشر

من الأحاديث التي تنطبق بشكل يكاد يكون تاماً على المحاماة والمحامين، قوله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من

الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»^(٣).

فالمحامي إما أن يكون صاحب رسالة لإحقاق الحق ودرء الشر والظلم عن الناس ومد يد العون لهم، وإما أن يتحول إلى مفتاح في يد الطامعين والظالمين بل وحتى المجرمين ينالون به مطامعهم، فينحط من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين.

وقد يستخدم المحامي حتى ما وهبه الله به من نعم كالفصاحة وحسن البيان وبلاغة التعبير والمعرفة بالقانون وعلوم الحياة المختلفة ليكون مفتاحاً للشر والجور، وفي هذا حديث مشهور عن النبي ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٤).

ويتكامل هذا الحديث الشريف الواضح المعنى والشديد التحذير مع قوله تعالى: ﴿هَآتَمُّ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٠٩).

دفاع عن المذنبين

ومع هذا فبعيدا عن أكل أموال الناس بالباطل أو الاعتداء على أملاكهم أو أعراضهم وغيرها من الصور، فإن الإسلام به فلسفة عبقرية تجعل هناك فرصة ثانية متاحة للجميع إذا ما كان الخطأ «فردياً» بأن أصاب الشخص نفسه بالضرر وليس الآخرين، فالإسلام

لم يأت سيفاً يرهّب الناس من العقوبات إن تجاوزوا، بل هو يخوفهم من الحدود والعقوبات تخويفاً يمنعهم من الانزلاق فيها، وحتى إن زلت أقدام بعضهم، فلا بد من سلوك إجراءات معينة إن تغيبت يمتنع فوراً إنزال العقوبة، وفي هذه الصور واحدة من أهم وأخص واجبات المحامي ومهامه.

هذا ما نسميه في القانون الحديث بـ «شرعية الإجراءات» و«شرعية الدليل»، فلا يكفي القبض على شخص يرتكب جريمة ما، بل لابد أن يتم هذا وفقاً لإجراءات محددة منضبطة، وكما لا يعثر الفهم هنا أو يضل، فهذه الإجراءات ليس الهدف منها توفير حماية للجاني أو للمذنب، بل للبريء. فالهدف منها حماية الناس من أن يستغل قوي أو ذو نفوذ قوته، فيرمي الضعيف منهم بما ليس فيه من تهم بلا إجراءات تحميه.

ومن أشهر ما يستدل به على هذا الأمر، قصة الفاروق عمر بن الخطاب مع الشيخ الذي دخل عليه منزله ليلاً فشاهده يشرب الخمر، فلما هم الفاروق أن يأخذه للعقاب، كان رد الشيخ عليه أنه ما حصل على الدليل بشربه للخمر إلا بأن تجسس على منزله، وهذا منهي عنه، فتركه الفاروق ومضى، وفي نهاية القصة أن الرجل بعد ذلك جاء إلى مجلس أمير المؤمنين وقال له إنه لم يعد لمثلها قط.

الشاهد من هذه القصة الواردة في أكثر من مصدر دون طعن يقدر فيها، أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين لم يعاقب شارب الخمر لأن دليله عليه افتقر إلى «الشرعية». وقد يكون مدهشاً

للبعض أن الكثير من أفكار المذاهب القانونية الحديثة عند تأصيلها سنجدها تنبع من فترة خلافة عمر بن الخطاب، لكنهم طوروها وأطلقوا عليها أسماء غريبة لا تدل على أصلها الحقيقي، وهذه الفكرة التي نتحدث عنها تحديداً مفادها أن الإسلام لا يستهدف إلحاق العقوبة كغاية، بل حماية للمجتمع وتقويم للخاطئ، لذا إذا كانت هناك فرصة للدفاع عن من أخطأ في حق نفسه فقط ولم يتعرض للآخرين بظلم كمن شرب خمرًا فقبض عليه أو غير ذلك من الصور المماثلة فيكون أمام المحامي مجالاً للدفاع عنه ليحصل على الفرصة الثانية مستهدياً بذلك بما فعله الفاروق عمر مع الشيخ الذي تاب نتيجة ذلك.

وعموماً، فباستثناء الجرائم الخمس الكبرى التي حددها القرآن، كانت المحاكم في الإسلام طيلة قرون حرة في بعض الجرائم بحيث تأخذ في اعتبارها الجريمة من حيث الظروف التي ارتكبت فيها، وشخصية مرتكب الجريمة^(٥).

لذا كان لزاماً أن يتواجد بين الناس فئة منهم، تضمن شرعية محاكماتهم، وبخلاف أهمية تلك الحماية التي يجب توفيرها للكل، فكم من بريء حقا ظهرت براءته بفضل قريحة متقدمة نابهة لمحاميه، فكشف التدليس والأدلة غير الشرعية وغير الموضوعية معاً، وقد عرفت غير مرة كيف انتهى القضاء ليس فقط إلى براءة المتهمين، بل إلى معرفة الجناة الحقيقيين والظالمين الذين اتهموهم ودبروا لهم بليل، فتحول ميزان العدالة إليهم هم، وهذا هو العدل الذي هو اسم من

أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وأحد أهم المقاصد التي جاءت من أجلها رسالة خاتم رسل الله ﷺ.

وفي الأمر خطر عظيم

وبناء على كل هذا، يظهر لنا تكامل المحاماة وتماشيها مع دعوة الإسلام وأهدافه العليا، ورغم هذا.. فهذه كلمتي لإخوتي من المحامين.

إن في الأمر لخطراً عظيماً، فعلى جميعاً تذكر مقولة «إن المحامي هو قاضي الدعوى الأولى»، فعليك كمحام أن تختار من سيقم مقام نفسه أمام القضاء، وتعرف هل هذه إقامة حق وعدل يرضا عنها الله ورسوله... أم إقامة جور وظلم.

ثم بعد هذا كله، فلا يكفيك أن تقف بجانب الحق فحسب، بل بجانبه تقف وبالحق تقف ومن أجله تقف، فلا يصح إقامته بشهادة زور أو اعتداء مماثل، حتى وإن خلت الأدلة المادية التي تشبهه، فطريق الحق المستقيم لا يؤتى بباطل. وتذكر دوماً أننا قوم محاسبون على كل قضية قبلناها من أول يوم عملنا فيه حتى يوم نقبض فيه، فلا تكن من الذين

قال فيهم عز وجل: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّأُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (العنكبوت: ١٣).

الهوامش

- ١ - رواه الإمام مسلم، حديث رقم ٢٦٩٩.
- ٢ - السلسلة الصحيحة، الجزء الثاني، ٩٠٦.
- ٣ - رواه ابن ماجه رقم ٢٢٧، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٤.
- ٤ - حديث رواه البخاري ٧١٨٥، والنسائي ٥٤١٦.
- ٥ - الرئيس البوسني الراحل علي عزت بيغوفيتش، «الإسلام بين الشرق والغرب»، القاهرة: مصر، دار الشروق، ٢٠١٣م، ص: ٢٢٧.



عن قصيدة «صلى عليك الله»

من قصائد الشعر الديني، والشعر الديني عموماً تلفه الروحانية والمشاعر الفياضة، فالشاعر في مثل هذه القصائد لا يبتغي مدحاً ولا ينتظر جائزة من أحد، وإنما تفيض روحه ببعض المعاني السامية فيعبر عنها بمثل هذه الألفاظ، وشاعرنا هنا جعل النبي ﷺ مادة لقصيدته مستعيناً ببعض النقاط التاريخية التي أعانته على إبراز الصورة، فيشير إلى تلقيب المشركين للنبي بـ «الصادق الأمين»، فيقول: «عرفوك فيها صادقاً وأميناً»، ثم يشير إلى ما صح أن الله تعالى قد حفظ نبيه من ضلال عبادة الأصنام فيقول: «وحفظت من سوء الضلال»، ثم يحسن الشاعر في استخدام الاقتباس في معرض حديثه عن أخلاق النبي فيقول: «بعثت متمماً لمكارم»، فهو مقتبس من قول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (مسند أحمد، ٢/٣٨١). ثم يستعين بالاستعارة المكنية فيحول القرآن والسنة إلى شخصين يتحركان ويعقلان ويتعانقان، فيقول: «نبعان تعانقاً»، مما زاد في إبراز صورة التلاحم والاقتران بين القرآن والسنة في صياغة الشكل النهائي التام للشريعة، ثم يلح على ذلك المعنى فيبرز القرآن والسنة في صورة حبلين يتعلق بهما من يريد النجاة من الأهوال، ثم يعدد الشاعر بعضاً من أخلاق النبي ﷺ التي اشتهر بها ليعزز عظمة هذا الجانب وحرص الإسلام على تكميته مستخدماً الطباق الذي يساعد على إبراز المعنى من خلال ذكر الضد بجانب ضده، فيذكر «الإساءة» من الناس في مقابل «الإحسان» من النبي، ويذكر «القسوة» من الناس في مقابل «اللين» من النبي، ثم ينوه في الختام بعظمة الإسلام في منحه الأجر العظيم على أعمال خفيفة مثل عبادة «اللفظ الرقيق» و«التبسم» و«بشاشة الوجه» و«رفي المعاملة».

وأسلوب القصيدة في مجمله هادئ ناعم يكاد يكون على وتيرة واحدة من أول القصيدة إلى آخرها، ابتعد الشاعر فيها عن المعاني الغائرة والألفاظ المعقدة.

عن قصيدة «اقرأ كتابك»

قصيدة «اقرأ كتابك» مبنية على المقارنة بين حالين: حال أهل السوء والنفاق، وحال أهل الخير الذين يسيرون على الصراط المستقيم. وقد أكثر الشاعر من إلحاحه على النفاق ومشتقاته وما يتفرع عنه من أخلاق، فيظهر المنافق في صورة المخادع، ثم في صورة ذي الوجهين، ثم في صورة الدنيء الذي يأكل على كل مائدة ويلحق كل الأنية ويصفق لكل متحدث، ثم يقارن الشاعر في لفظ بديع بين من حاله هكذا وبين المستقيم الرشيد الصدوق. وقد استعان الشاعر في قصيدته هذه باقتباسات كثيرة زادت من جمال الوصف ولفتت الانتباه إلى مراد

قراءة نقدية في إبداعات الوعي الشعرية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتخذ به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلاً عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبهاً إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.





أحوال البشر، وهي أن رحلة البشر في الدنيا من المفترض أنها تبدأ بالصباح والأفراح عند المولد، وتنتهي بنقيض ذلك تماماً من البكاء والحزن عند الموت، وهو يتمنى عكس ذلك، ثم يشير إلى اختلاف البشر في طباعهم ورغباتهم وتصرفاتهم واختلاط ذلك وتداخله مثلما تتداخل الأشربة عندما تمزج في كأس واحدة.

ويستمر الشاعر هكذا ينتقل من صفة للنفس إلى أخرى حتى يقول: «إن جاء جمع منهم بحقيقة رده»، فيشير بذلك إلى نزوع النفس في كثير من أطوار حياتها، حيث تنفر من الحق، وتصعد عن الطريق القويم، بل وترمي من جاءها به بالبهتان والقبح.

وقد نوع الشاعر من الألوان البلاغية في قصيدته، فاستخدم الطباق بين «نواح وصداح» ليعبر أمرين مهمين: أولهما التناقض بين حالين من المفترض أن يكونا معكوسين، فالنفس مقبلة على الدنيا بهمومها وأحزانها ومع ذلك تجد الناس سعداء لذلك، وفي الحال الأخرى النفس راحلة عن دار الهموم إلى دار النعيم والراحة للمؤمن ومع ذلك تجد الناس في حزن وبكاء شديدين، وثانيهما التمني أن يكون حال الموت حال فرح واستبشار بالقدوم على رب رحيم يجزي الطائعين بالجنة.

ثم استعان بالتشبيه البديع فقال: «كما الأمزاج في الأقداح»، حيث شبه الناس في امتزاج أخلاقهم وتداخل تصرفاتهم وما عندهم من تشابه وتناقض وامتزاج وتناظر.. الخ، بالأشربة التي وضعت في إناء واحد ثم مزجت حتى صار من المحال تخليص شراب من الآخر،

ثم لجأ إلى الاقتباس من القرآن الكريم في موضعين، حيث قال: «وأشار ألا تحزنوا لمصيبة» فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَيْكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٣)، ثم يقول: «وردة محفوفة» فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَالْقَهْرُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى﴾ (طه: ٢٠).

ثم يظل الشاعر يعظ الناس ألا يركنوا إلى الدنيا لأنها إلى زوال، وألا ييأسوا لحدوث مصيبة لأنها لا تبقى، وألا يفرقوا في ملذات الدنيا لأنه لن ينجو إلا الزاهد، ليصل بذلك إلى ما قصده في عنوان القصيدة: «وكبا الذي قد غر بالأفراح» وهو أن المغرور بأفراح الدنيا وزخرفها هو الذي سيكبو ويتعثر ويضل طريقه.

الشاعر، حتى استحقت هذه القصيدة أن تسمى «قصيدة الاقتباسات»، فيقول: «أفمن يؤسس فوق جرف» مقتبساً من قوله تعالى: ﴿أَمْ مَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَاكِ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: ١٠٩). ويقول: «أما الصديق فلا يغير وجهه» مقتبساً من قوله ﷺ: «تجدون من شر الناس ذا الوجهين» (مسند أحمد، ٢/٢٤)، ثم يقول: «كل امرئ يجزى بسابق فعله» مقتبساً من قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١). ثم يقول: «اقرأ كتابك بالحقيقة» مقتبساً من قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الجاثية: ٢٩).

ثم اختار الشاعر أخف أبواب البيان (الكناية) فاستعان بها لتوضيح مراده، فيقول: «يغير وجهه» وهي كناية عن النفاق والتلون، ويقول: «أرخى جناحا للهدى» كناية عن قبول الحق والإذعان إلى الهدى، ويقول: «جيدهم سيعلق» كناية عن النهاية القبيحة التي تنتظر من يسير في طريق السوء.

ثم يبرز الشاعر أهم ما يمتاز به الرجل الصادق وهو صفة «الوضوح»، فالصادق لا يوارى ولا يلجأ إلى الكلام الملتوي. وقد أحسن الشاعر حين استعان على إبراز تلك الصفة بالتشبيه، فجاء بقوله: «الصدوق كالشمس» فوجه الشبه بينهما الضياء والوضوح، وهي الصفة التي قصد الشاعر إبرازها بمعونة التشبيه.

ولم يقتصر الشاعر على ذلك، بل راح يتتبع بعض الصفات الحسنة مثل: «التقي، من يرضي الإله، يصدق»، ويتبع ذلك بجزاء من يتصف به، فالتقي «إلى نعيم يسبق» ومن يرضي الإله «ليس للدنيا بعين يرمى» والصادق «كالشمس تشرق في كل أرض».

وفي الشطر الثاني من البيت الأول ذكر الشاعر «علا جدر» فلعله يقصد «على جدر»، وفي الشطر الثاني من البيت الرابع (أو يستوي مع من يفعل..) كان يحسن أن يقول: «هل يستوي مع من...».

قصيدة «وكبا الذي قد غر بالأفراح» للشاعر محمد محمد عيسى

قصيدة «وكبا الذي قد غر بالأفراح» سياحة فلسفية عميقة في النفس البشرية وميولها ونوازعها، استخدم فيها الشاعر أفكاراً بعيدة الغور عميقة المعنى ليعبر مراده من إلقاء الضوء على طبيعة تلك النفوس وعجائبها، فيبدأ قصيدته بأعجب



مطعم التسونامي

المتنمرون كانوا يمارسون هذه العادات السيئة، حيث إنهم يرتكبون سلوكيات التمر والاستئساد داخل المدرسة، وحينما يخافون الضرب والشجار من والديهم يلجؤون إلى مغادرة بيوتهم وقراهم أو النفور من ذويهم وأقاربهم ثم يفرون إلى مكان بعيد... ومنهم من يرجعون إلى بيوتهم بعد أيام، ومنهم من تكتشف الشرطة مكانهم الجديد، وترجعهم إلى أحضان أمهاتهم، ومنهم فئة ثالثة تفضل الاستقرار في مكانهم الجديد ويحلوا لهم البقاء فيه، وتبني هناك عائلة ثم لا ترجع إلى مسقط رأسهم. لأن تلك الحالات الاجتماعية قد ضيعت كثيرا من أبناء هذه الولاية في لحظة شجار عنيف، لا يتقدم أحد لكي يقوم بمهمة المصلحة بين الآباء وأبنائهم

الفراغ، وإنما يستمد الكاتب تلك الحكمة القصصية من واقع الحياة ومؤثراتها المختلفة، وما من كاتب اعتمد على قدراته الفنية فقط، دون أن يستمد مقوماتها من المؤثرات التي يجدها من طريقه أو تلك التي تحيط به من كل الجهات. لم ينته الأخ عثمان بن همزة من سرد هذه القصة الغريبة، بت غير مصدق لما سمعت منه، لأنها قصة قل أن تقع مثيلاتها في خلد البشر. قصة حب وصفاء، وقصة بر ووفاء. قصة إبراهيم، ذاك المراهق المليباري الذي غادر بيته قبل سنوات. وترك أسرته وفر إلى مكان بعيد بعد أن ارتكب معصية كبرت في عينيه وخاف عليها المعاقبة من والده العم^(١) علي. في المجتمع المليباري، الأطفال

مثل جميع السامعين، وأنا أيضا لا أدري هل هذه حقيقة أم خيال، لأنها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. في مساء يوم الخميس الماضي، سرد علي تلميذي الفاضل الأخ عثمان بن همزة تلك القصة. وهو يطعمني بالذ الأظعمة التي تناولتها منذ حين، ويقول بأن ذلك الطعام الشهي من إعداد هذا الرجل الجديد الذي يعرف في قريته بلقب تسونامي. واستغربت من لقبه الذي لا أراه من الألقاب الشائعة في ديارنا المليبارية. إنما هي كلمة تدل على الطوفان الذي عصفت رياحه العاتية بالقرى الساحلية في إندونيسيا والبلدان المجاورة للمحيط الهندي سنة: (٢٠٠٤م). وكما يقول النقاد إن الكتابة حتى الإبداع لا تأتي من

المتتمرين.

وهذه أيضا قصة صاحبنا إبراهيم الذي صار معروفا في قريته بلقبه الغريب «تسونامي»، رحل عن ذويه إثر شجار عنيف بينه وبين أصدقائه في المدرسة. ومدير المدرسة طلب من والده العم علي أن يحضر في المدرسة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإبعاد ولده إبراهيم عن المدرسة لكثرة وقوعه في الأعمال التتمرية داخل المدرسة. وفي مساء ذلك اليوم قرر إبراهيم أن يغادر بيته ويفر إلى مكان بعيد لا يخاف فيه من ضرب والده العم علي ولا على معاقبته. وفي صباح اليوم التالي، قبل أن يستيقظ الفجر من مهد الظلام، خرج صاحبنا إبراهيم من الباب الخلفي للبيت، وألقى نظراته الأخيرة إلى كل أجزاء البيت مرة أخرى، وقبل أن يدخل إلى شارع القرية الذي يقوده إلى محطة القطار، حفر إبراهيم الفار اسمه على تلك الشجرة الصغيرة التي أتى بها قبل (٣) سنوات من المدرسة في اليوم العالمي لحماية البيئة. وظن الولد بأنه سوف يكون باقيا في ذاكرة أقاربهم طالما يبقى اسمه محفورا على جذع هذه الشجرة.

ومن هنا ندع صاحبنا إبراهيم التسونامي أن يستعيد علينا تفاصيل حياته الدقيقة بعد فراقه من البيت. والقارئ يدرك بأن حياته لم يكن ظاهرها المتناغم والجميل مثل عمقها القاسي والشديد... انفصاله عن قريته الصغيرة في المليبار التي تربى فيها كولد مدلل يعرفه الجميع إلى جزيرة حيث

لا علاقة له فيها ولا قرابة. وهيا نجلس لكي نستمتع إلى ما يقول عن أيامه الماضية في هذه الجزيرة البعيدة، وعن الأسباب التي ساقته مرة أخرى إلى قريته في المليبار... لأن الإنسان إذا ما عايش ظروفًا قاسية بعيدة عنا، تكون هي مجرد خيال لا تمت بصلة مع الحقيقة مهما حاولنا... والأحسن لنا أن نجلس مستمعين...

يقول إبراهيم التسونامي: «استقرت بي تلك الرحلة في جزيرة أندامان ونيكوبار (Andaman and Nicobar Islands) الواقعة في المحيط الهندي... رحلة أفر بنفسي ومشاعري، القطار، الباص، السفينة، وأخيرا في هذه الجزيرة البعيدة عن قريتي في المليبار. لم أعد أعرف ماذا كان علي أن أفعل... أمشي كل يوم في أزقة مدينة بورت بلايار (Port Blair) أبحث عن اللا شيء، أو ربما عن كل شيء أسد به جوعتي ولوعتي... وبعد أسبوعين كاملين، حصلت على عمل في إحدى المطاعم في هذه الجزيرة. ما كانت وسائل الاتصالات شائعة في بداية السنوات التسعينيات، ولم تصل إلي الشرطة لكي ترجعني إلى قريتي، ولم يتعرف علي أحد من سكان هذه الجزيرة... وذات مرة، كان أحد الزملاء في المطعم قد سألني عن قريتي ومسقط رأسي... وأجبت به باسم قرية أخرى بعيدة عن قريتي لكي لا تصل إلي الأيادي الباحثة عني... ومع مرور السنوات، تناسيت جميع العلاقات التي تمتتي بأقاربي وقريتي... الأيام في هذه

الجزيرة كانت مسرعة الخطى لا تلوي على شيء، وكل شيء مر بسرعة. وبنيت في الجزيرة أسرة تضمني وزوجتي... وأنجبت لي ولدين...

وبينما أنا كذلك، عصفت رياح التسونامي العاتية على شواطئ المحيط الهندي سنة: (٢٠٠٤م). وكان ولدي الصغير مع جدته لأمه يلعب في رمال الشاطئ حينما وقعت التسونامي، بكيت وبكيت بملئ حنجرتي لأنني عرفت بأن الأمواج قد جرفت ابني الصغير... حاولت لمدة ثلاثة أيام لكي أعثر عليه، وبحثت عنه في المخيمات والمستشفيات ووسط الانقراض... وأخيرا بعد خمسة أيام قالت السلطة بأنها أدرجت اسم ابني في قائمة الأطفال المفقودين... نعم آلاف الأطفال الأبرياء قد انفصلوا عن والديهم... اتصلت بذلك الهاتف الذي تحفرت أرقامه في ذاكرتي منذ الصغر... رقم الهاتف في بيتي في قرية المليبار... رقم لم أتجرأ أن أتصل به بعد فراري قبل عشرين سنة... اتصلت لكي أخبر بأن ولدي الصغير قد صار من المفقودين إثر رياح تسونامي... ورن الهاتف في قريتي... من أول وهلة عرفت ذلك الصوت الجهوري... والدي العم علي... ترتجف يميني التي أخذت السماع... ولا أدري هل يرتجف بدني لخوف ما سألاقيه من فقدان الوالد أو للوعة ما لاقيته من فقدان ولدي... أشد سماعة الهاتف لأذني اليسرى بقوة أكثر، ثم تجرأت على أن أقول...: «إنني إبراهيم، ولدكم

بمشاعري، وهو أيضا يرتجف لهول ما سمع من كلام الأب. شعرت بأنني على مشارف الإغماء، وبدأت أفقد توازني تدريجيا، شعور غريب يعصى على التفسير والبيان... من دون أن تنتظر إذني، خرجت من جوفي تنهدات... هل تكفي الأمواج التسونامية الهائلة التي رأيتها قبل أسبوعين بأم عيني، أن تطفئ ما تفجر من داخلي من بركان...؟ كيف أردته؟ كلمات قليلة مختصرة علي أن أجيبه بها، ولكنها لم تصل إلى الخارج... «لن أترك الزمن مرة أخرى يعيث بنا يا بابا، لن أترك الظروف تبعدنا عنك وعن أُمي». لا أدري هل هذه الجملة وصلت إلى الطرف الآخر في الهاتف؟ أم لا... إلا أنني حاولت أن أكررها، ولكن العبارات في عيني غلبت العبارات في شفتي.

راحت أبواب الذاكرة مشرعة تتفتح أمامي على أيام جميلة، بدأت أستعيد ذكرياتها الرائعة، وقد أحسست أن كل ما حولي يتراقص على الذكريات الحلوة التي قضيتها في أسرتي، لعنت على جميع الدقائق التي لم تلهمني على الرجوع إلى هذه الذكريات الجميلة... و بعد عشرين سنة، أرجع إلى مسقط رأسي، إلى دفاء أُمي، إلى رأفة والدي، إلى محبة أقاربي... ذهبت ذكرياتي الماضية مهرولة إلى مسقط رأسي، إلى قريتي، إلى مدرستي، وإلى جميع الذرات التي شكلت بيئتي الطفولية. وأسرعت إلى مدينة بورت بلايار (Port Blair) لكي أحجز تذكرة السفر للرجوع إلى



والمستشفيات في مدينة بورت بلايار (Port Blair)... وألتمس منكم يا بابا أن تدعو لولدي المفقود...». وقبل أن أنتهي من المكاملة، قال والدي العم علي: «ألتمس منك أيضا أن تدعو لولدي الذي غاب عني وعن أمه قبل عشرين سنة، لعل الله يرجعه إلي قبل موتي، لأن والدته المريضة لا تزال تذكره، وتسأل عنه»، مرت لحظة من السكون، لم أسمع سوى خفقات قلبي، وكنت أحس بأن الأرض تدور حولي. من قال إن الأرض التي حولنا لا تحس ولا تشعر ولا تحزن؟ أعتقد بأن ذلك المكان الذي أنا فيه، يدور حولي، ويحس

الوحيد الذي فر منكم قبل عشرين سنة... أنا بخير... وأظن أنكم أيضا في أتم الصحة والعافية، وأتمنى لكم الصحة وطول العمر... وإني منذ أسبوع لم أر ولدي الصغير، ولم أسمع صوته، لا أعرف شيئا عنه، سوى أنه ضاع مني كما ضاع أطفال هذه القرية عن والديهم... إن أمواج تسونامي العاتية قد دمرت القرى المجاورة لسواحل جزيرة آندامان (Andaman Nicobar Island)، وشردت أهلها، وأبعدتهم عن بعضهم حتى أن كثيرا من الناس فقدوا أسرهم، وبعض الأطفال ضلوا عن عائلتهم وبقوا منتظرين أحدا من ذويهم في المخيمات

قريتي الجميلة. نعم في الأسبوع القادم، هناك سفينة من ميناء بوت بلايار (Port Blair) إلى كوشن (Cochin). يا إلهي.... بعد عشرين سنة، سوف ألتقي بوالدي، ووالدتي، وأقاربي، وأستشق هواء قريتي... للحظة، تخيلت أن هذا المكان حولي قد تحول إلى طفل لا يملك سوى البكاء.

عشرون سنة يكفي لتغيير صورة القرية التي التقطتها ذاكرتي في اللحظات الأخيرة في يوم الوداع... كل شيء تغير، إلا تلك الشجرة الكبيرة التي حفرت على جذعها الصغير اسمي لكي لا أكون أنا خبرا منسيا في بيتي وبين أقاربي. وهي واقفة قبال بيتي إلا أن الحروف الإنجليزية التي حفرتها أخذت تضمحل... الأقارب والجيران كلهم ينظرون إلي بعين الاستغراب والدهشة... أجزأنا خطواتي الثقال، وأطلب من الأرض التي تحت نعالني أن تتوقف عن الدوران لأترجل منها... طرقت الباب كأنني أطرق عليه أول مرة في حياتي... وفتحت الباب شقيقتي الصغيرة التي كانت في عمرها الخامس يوم وداعي، محدقة في وجهي، وهي تحاول أن تجد وجه التشابه بيني وبين تلك الصورة الراسخة في ذهنها حين غادرت البيت قبل عشرين سنة. ولكن محاولاتها فشلت، واختفت وراء أمي. أما والدتي المحبوبة، فهي لم تفتح باب المحاولة، بل بمجرد رؤية حقت بأنني ذلك الجزء الذي انفصل عن حضنها ولم ينفصل عن قلبها. وهي تضميني

إلى صدرها كما كانت تضميني وأنا رضيع في حجرها. قلت الكلمات في شفيتها وكثرت الدمعات في عينيها، وهي تحاول ذروف الدمع السيل على خديها... الأحزان والآلام ما زالت تركد بقاياها في ملامحها... وكم افتقدت هذا الدفء، وكم كانت الحياة دافئة في أسرتي قبل سنوات... تمللت في داخلي «ذريني وقلبك يا ماما... هذا الدفء لا أضيعه مرة أخرى في حياتي...».

أما والدي العم علي، وهو لم يكن موجودا في البيت وقت رجوعي... كان قد رحل إلى السوق لشراء الحاجيات المنزلية. وبعد ساعة، رأيت والدي يصعد الأدراج إلى بيتي... رجل كان في عنفوان شبابه يوم ذهابي... وأصبح اليوم شيخا هرما شيبته الأحزان والآلام وأنهكه المرض والسنون، وهو يتكئ على عكازه، ويحمل في يساره كيسا للخضراوات والفواكه... حدقت النظر في وجهه، تلك السنون المجدية قد رسمت على ملامح وجهه رسوم الفقر والفاقة، إلا أنني رأيت دلائل الاستبداد لا تزال باقية في عينيه الثابتتين. كم تغير والدي... وكم طالت منه السنون... أخايد عميقة، وظهر مقوس، وعكازة... تقرب والدي إلي وتبسم على رؤيتي، وهذه الفجاءة منحته ابتسامة تفسر عن فرحه وسروره... وقبل والدي على جبھتي، ثم عانقني... كأن كاهله بدا أكثر منحنيًا لثقل ما حمله طوال هذه الأيام البائسة. لم أتجرأ أن أكلمه مرة أخرى... حينما

كان يعانقني معانقة طويلة استمرت لدقائق، تلاشى كل شيء حولي، ولم يبق إلا أنا الطفل المغادر ووالدي العم علي، الوالد المستبد... وكلماته الثلجية التي سمعتها عند المعانقة لا تزال تدوي في أذني، وهو يقول: «الحمد لله على سلامة ولدي وفلذة كبدي إبراهيم». خلال حياتي كلها، لم يعانقني أحد بمعانقة دافئة مثل هذه... نعم اليوم، بعد عشرين سنة، في حياتي الجديدة أرى الكثير من الوجوه، وأشعر بالكثير من الابتسامات، وأحس الكثير من الحب، من السعادة، من الدموع.

قصته، أصبحت حديث الناس في القرية، إبراهيم الذي غادر القرية قبل عشرين سنة، رجع إلى أهله بسبب تسونامي... تقول أم إبراهيم: إن تسونامي قد ضيعت رباحها العاتية آلاف الأبرياء من الأطفال، إلا أنها أرجعت طفلها إبراهيم إليها. كما تمت الإشارة إليه، إن إبراهيم كان يعمل في مطعم في جزيرة أندامان... وبعد عودته إلى القرية، فتح إبراهيم مطعمًا في قريته وأضاف إلى المذاقات المليبارية بعض المذاقات الجزرية الشرقية... والناس الذين يرتادون إلى مطعمه الجديد أصبحوا يسمون هذا المطعم: «مطعم التسونامي» ومن هنا اشتهر صاحبنا إبراهيم بلقبه الغريب التسونامي...

الهوامش:

١- العم علي (Ali Uncle) هكذا يناديه أهل القرية.



حراء النور

سر الإله وماتقى الأنوار
لمقام أحمد سيد الأخيار
في معزل عن مجمع الكفار
متطهرا من مسلك الضجار
متجردا للواحد القهار
لرجس والأنصاف والأوزار
نهج الأوائل من ذوي الأبصار
مستشعرا حدثا من الأقدار
ودلائل الإعجاز في الآثار
أن الممالك في يد الجبار
والأرض في فلك جرى بمدار
نور البصيرة قارئ الأسرار
في قدرة تخفى عن الأنظار
في أنجم وطبائع وبحار
فالليل يأتي تابعا لنهار
في مدرج الآيات والأفكار
أن يأذن الرحمن بالإيثار
ليكون خاتما رساله الأطهار
بالوحي دون ملائكة أبرار
ويكون عند محمد في الغار
قرآن ربك ذي الجلال الباري

هذا حراء النور والأسرار
هوبقة مختارة من ربنا
إن الإله أراد أحمد هنا
يرجو لوجه الله ديننا قيما
متأملا متفكرا متدبرا
متحنضا دين الخليل ونابذا
مستمسكا بالعروة الوثقى على
مستبصران نور الهداية في المدى
يرعى بدائع صنعه في خلقه
والقلب مملوء يقينا راسخا
أن السماوات العلا ببروجها
ما كان يقرأ من كتاب إنما
أسرار هذا الكون يكمن كنهها
هو خالق دلت عليه بدائع
هو واحد والكون ينطق شاهدا
سكن الحبيب الغار تسمو روحه
جبريل في شوق وفي لهف إلى
إيثار أحمد بالكتاب وبالهدى
شرف لجبريل الأمين نزوله
هي نضحة عافية في لحة
يا أحمد اقرأ باسم ربك تاليا

إن الذي يكل إلى الناس تقدير قيمته يجعلونه سلعة
يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة إليها أو الاستغناء
عنها

عباس محمود العقاد

أفضل وسيلة لتحقيق أحلامك هي أن
تستيقظ
بول فاليري

العالم لكل الناس، غير أن لكل
إنسان عالماً هو خالصة نفسه
الرافعي

اسمعني جيداً حتى تفهمني.. لا تقاطع
حديثي لأكمل أفكاري.. اخفض صوتك
حتى أفهم لغتك.. ابتسم حتى أقبل
آرائك
ألبير كامو

من المؤكد أن الشؤون الإنسانية
ستكون في سعادة أفضل لو
كانت قدرة الإنسان على الصمت
كقدرته على الكلام
اسبينوزا

كن سنداً لنفسك، اتكئ على بعضك
وانهض
دستوفيسكي

إن حوادث الطفولة أشبه بالخدوش التي تُترك
على سطح لَبِن من الأسمنت، سُرْعان ما يَجفُّ
فلا تَمحى الخدوش أبداً، إن كل عُقدنا ونحن
بالغون بدأت في طفولتنا
أحمد خالد توفيق



د. شوقي ضيف.. أحد أعلام اللغة العربية (١٩١٠-٢٠٠٥م)



يمثل الدكتور شوقي ضيف علامة بارزة في مسيرة ثقافتنا العربية، فهو أديب وعالم لغوي ومؤرخ موسوعي للأدب العربي، وهو صاحب المؤلفات العديدة التي نهضت بعلوم العربية أدبا ولغة ونحوا بعد جمود، وفي كل بلغ الذروة والإجادة. شغل العديد من المناصب منها: رئيس مجمع اللغة العربية في مصر، وعضو مجمع اللغة العربية في سورية، وعضو شرف في مجمعي الأردن والعراق.

فتحققت له الريادة.

أعماله

أمضى د. شوقي خمسة وسبعين عاما من حياته يعمل ويجد فألف ٥٠ مؤلفا منها موسوعة: «سلسلة تاريخ الأدب العربي» وهي من أشهر ما كتب، استغرقت كتابتها ثلاثين عاما، وتحتوي مراحل الأدب العربي منذ ١٥ قرنا من الزمان جمع فيها شعر ونثر كل الأدباء والشعراء منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وقد سردها بأسلوب سلس بسيط وأمانة علمية ونظرة حيادية موضوعية، وبلغت من الشهرة أن تمت طباعة الجزء الأول من السلسلة، وهو «العصر الجاهلي»، عشرين طبعة. وشملت هذه الموسوعة موضوعات مهمة مثل الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، في الشعر والفكاهة في مصر، البلاغة تطور وتاريخ، تحريفات العامية للفصحى، من الشرق والغرب.

كتبه

من يدقق النظر والبحث في مؤلفات

الأغاني للأصفهاني»، وحصل على امتياز مع مرتبة الشرف سنة ١٩٣٩م، ثم سجل الدكتوراه تحت إشراف طه حسين بموضوع «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، وحصل عليها ١٩٤٢م بامتياز مع مرتبة الشرف.

وطبعت رسالة الدكتوراه بتقديم د. طه حسين الذي تعود أن يكتب مقدمة للناشرين من طلابه، فكان ضيف واحداً منهم، وكذلك د. سهير القلماوي عن أطروحتها للدكتوراه تحت إشرافه «ألف ليلة وليلة». كتب طه حسين عنه: «إذا كنت حريصا على أن أقول شيئا في المقدمة فإنما هو تسجيل الشكر الخالص للجامعة التي أنجبت الدكتور شوقي، والدكتور شوقي الذي أنتج هذه الرسالة».

وعلى الصعيد الإنساني، كل من عرف د. شوقي يعلم أنه كان رجلا مسالما لم يشغل نفسه إلا بالعلم وبناء العلماء، كما أنه نأى بنفسه عن الممارك الفكرية والأدبية التي خاضها أستاذه طه حسين وأدباء ومفكري عصره كالعقاد والرافعي في النصف الأول من القرن الماضي وأثر أن يعمل بجهد وصمت

حياته حافله بالجوائز: جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي (١٩٨٣م)، وجائزة مبارك للأدب (٢٠٠٣م)، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٧٩م)، كما منح دروعا من جامعات عدة مثل القاهرة والأردن وصنعاء.

حياته

إنه الأستاذ الدكتور أحمد شوقي عبدالسلام ضيف، الشهير بـ «شوقي ضيف». ولد في محافظة دمياط شمال مصر، وكان الابن الوحيد لوالديه، وكان والده شيخا أزهريا. بعد مولده أصابه مرض فأضعف بصره في العين اليسرى، لكنه ختم القرآن في سن العاشرة، وظهرت عليه علامات العبقرية والنبوغ منذ صغره، فألحقه أبوه بمعهد الزقازيق الثانوي الأزهرى، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، فكان الأول على دفعته سنة ١٩٣٥م، وعين معيدا، وسجل رسالة الماجستير بإشراف الدكتور أحمد أمين، وكان موضوعها «النقد الأدبي في كتاب

د. شوقي يجده رجلاً مميزاً ذا عقلية ثاقبة، تعمق في التراث العربي، عاش الأصالة والمعاصرة وأتقن اللغات الأجنبية، وقرأ ودرس عن الحضارة الغربية، شارك في كل مناحي الثقافة، وأرخ للأدب والبلاغة والنحو، كتب في فنون الأدب والنقد والترجمة الشخصية والرحلات والنثر.

- كتابه «موسوعة الشعر العربي» يقع في عشرة مجلدات، ويعتبر من أهم الكتب التي ضمت شتات الأدب العربي رأسياً وأفقياً؛ ففيه من حسن التجميع والتصنيف ما يجعله مرجعاً لا غنى عنه في تاريخ الأدب العربي، فقد جمع فيه الشعر منذ ١٥٠٠ عام من العصر الجاهلي إلى الحديث.

- من أعمال د. شوقي الشهيرة أنه نشر وحقق كتابه في النحو والذي يحمل اسم «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي، حيث بحث شوقي عن المخطوطات القديمة للمؤلف ودرسها وأعاد نشره، وكان يرى أن ابن مضاء عقد النحو وجعله صعباً، فألف كتاباً في النحو هي «تجديد النحو»، «تفسيرات لغوية»، «تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً»، «والفصحى المعاصرة»، وحرص في كتبه على تبسيط قواعد النحو لتصبح أسهل في التعامل ولكي يمحو كراهية المتعلمين للنحو.

- ويدخل كتاب «جهود شوقي ضيف في تجديد النحو التعليمي وتيسيره» في دائرة اهتمام المتخصصين في علوم اللغة العربية وآدابها تحديداً، والباحثين في الموضوعات ذات الصلة بوجه عام؛ لأنه يتضمن فروعاً أخرى مثل الشعر والقواعد النحوية والصرف و الأدب والبلاغة والآداب العربية.

- وله باع كبير في الدراسات الإسلامية فمن مؤلفاته: «الوجيز في تفسير القرآن الكريم»، «عالمية

الإسلام»، «القسم في القرآن الكريم»، «معجزات القرآن».

- وفي تحقيق التراث كان له مؤلفات كثيرة مثل: «كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد»، «نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم».

- يأتي كتاب ضيف «الفكاهة في مصر» استكمالاً للبحث عن ملامح الشخصية المصرية التي بدأها طه حسين وأمين خولي في كتابيهما «مستقبل الثقافة في مصر» و«أدب مصر الإسلامية». تناول ضيف عبره روح الفكاهة التي تحلى بها الشعب المصري عبر المراحل المختلفة من تاريخه بما في ذلك عصور الشدة والرخاء. منذ عهد الفراعنة حتى عصرنا الحديث مروراً بمجالات الكاريكاتير التي انتشرت في القرن الماضي. إلا أن الكتاب لم يحظ بعناية الباحثين رغم أنه من الكتب المهمة التي كتبها لأنه يركز على استكشاف ما يميز الشخصية المصرية عن غيرها من خلال نصوص كتبت باللغة العامية أو الدارجة كتبها شعراء أو زجالون لم يدرج اسمهم في سجل التاريخ العربي المعروف، لكن الكتاب سيظل إضاءة قوية لبقعة من بقاء الإبداع والوجدان طال نسيانها وإهمالها.

رؤية شوقي ضيف

حاول د. شوقي في موسوعته «تاريخ الأدب العربي» أن يجمع بين اتجاهين: الأول: النظر إلى تاريخ الأدب بوصفه علماً كما نظر إليه طه حسين وبروكلمان.

الثاني: تقسيم الأدب إلى عصور كما فهمه القدماء والمعاصرون له أمثال الرافعي وأحمد حسن الزيات. واعتمد في تفسيره للتاريخ الأدبي على المدرسة الطبيعية التي اتخذت من منهج Hippolyta Taine أساساً لتفسير التطور الأدبي الذي

يعتمد على أن هناك ثلاثة قوانين يخضع لها الأدب في كل أمة وهي: الجنس والزمان والمكان.

تميزت الموسوعة باستبعاد ما حوله شبهات وكذلك بالدقة والموضوعية والعمق والتمحيص، ثم ينتقل من التاريخ إلى الجغرافيا ويستطرد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والأديان ثم يتوقف عند اللغة وتاريخها ثم يأتي دوره: دور المحقق العالم المحاور المناقش لأراء الآخرين.

كتب د. حسن يوسف نوفل عن منهج د. شوقي ضيف في الدراسات الأدبية: «إن في تأمل مكتبة شوقي ضيف بمجالاتها المتعددة ما يستوقفنا على حقيقة مهمة هي صدوره عن نظرية آمن بها من قبل وطبقها في بحثه: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي ومازال يعود إليها بين الحين والآخر. نراه يضرب بسهم وافر ويحيط إحاطة شاملة واعية وما ذلك - في نظرنا - إلا لإيمانه بوحدة التراث تراث أممنا، يراه حين يدنو من الأدب أو النقد أو البلاغة أو النحو أو التحقيق أو الدراسات القرآنية حتى لا يمكن لنا أن نزعج - دونما مبالغة - أنه لم يتيسر لباحث محدث أن يحيط بدراسة أدب أمته من أعماق ماضيها البعيد إلى أوج حضارتها المعاصرة بدرجة واحدة من الإحاطة والشمول والتمثل والاستيعاب مثلما تيسر لباحثنا الكبير الذي استخلص لنفسه منهجاً واصطفاً سبيلاً بين تيارات صاخبة بين التراثية والغربية والفرعونية، بين سكيئة اليقين وثباته، وصخب الشك واضطراباته في منهج أبسط ما يقال فيه إنه منهج متكامل يجمع بين الرؤية الداخلية والرؤية الخارجية. رحل عالمنا في هدوء وسكيئة سنة ٢٠٠٥م عن عمر يناهز ٩٥ عاماً. رحم الله العالم الجليل».



نموذج فريد للمرأة المسلمة المعاصرة

الدكتورة بنت الشاطئ

بالمجستير وحصلت عليه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١م، وواصلت نجاحاتها بحصولها على الدكتوراه في عام ١٩٥٠م، بدراستها المهمة عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، حيث أثبتت في هذه الرسالة كفاءتها العلمية واستعرضت علمها الواسع بتراث الأدب العربي بنماذجه الأصيلة، وقد أشرف على رسالتها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي أشاد بعلمها الجاد في البحث، وعبر مسيرة بنت الشاطئ العلمية، فقد عملت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢م، وأستاذة بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية، وأستاذة بمركز تحقيق التراث بدار الكتب القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨م، كما كان لها حضورها العلمي عربياً، حيث عملت أستاذة للتفسير في جامعة القرويين بالمغرب عام ١٩٧٠م، وأستاذة زائرة في جامعة أم درمان والخرطوم بالسودان، وجامعة الجزائر، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وكلية البنات بالرياض، ولم يقتصر هذا الجهد العلمي على المجال

ولدت الدكتورة عائشة محمد علي عبدالرحمن (بنت الشاطئ) بمحافظة دمياط في ٦ نوفمبر عام ١٩١٢م، ونشأت في بيت محب للعلم والدين، فهي ابنة لعالم أزهري، فقد كان والدها مدرسا بالمعهد الديني بدمياط، كما كان جدها لأمها شيخاً بالأزهر، حفظت القرآن الكريم في سن السادسة في كتاب القرية، ثم ألفية ابن مالك، وفي عام ١٩٢٩م، حصلت على شهادة كفاءة التعليم الأولي للمعلمين والمعلمات، وكانت الأولى على مستوى القطر المصري، ثم حصلت على درجة الليسانس الممتازة في اللغة العربية عام ١٩٣٩م، وخلال هذه الفترة تواصلت مع الصحافة، حيث كانت تنشر قصائدها ومقالاتها بمجلة النهضة النسائية، بعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام، فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأدبية مي زيادة، وكانت في تلك الفترة تكتب مقالاتها باسم مستعار، فاختارت لقب بنت الشاطئ، الذي ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط التي ولدت بها. بعد انتهاء مرحلة التعليم الجامعي، سجلت دراستها

لم تكن الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) مجرد باحثة وأستاذة جامعية فحسب، بل هي نموذج فريد للمرأة العربية المسلمة، التي قدمت إسهامات ثرية ومتميزة في مجال الثقافة العربية والإسلامية، حيث تعتبر مسيرتها العلمية والعملية كفتاة وطالبة ومعلمة ومفكرة وزوجة وأم، مادة ثرية ورائدة لتربية الأجيال الجديدة التي تعتز بإسلامها، ومن يتعرف على سيرتها يدرك دورها الإيجابي والتنويري في مجتمعنا العربي، في زمن لم يكن التعليم سهلاً وميسوراً للفتاة، فجابته صعوبات كثيرة، وواجهت مشكلات وعقبات عديدة في سبيل تحقيق غايتها في التعليم الذي كانت تطمح في الحصول عليه، فاتحا الطريق أمام المرأة العربية للخروج من البيت إلى الجامعة ثم إلى المجتمع الواسع، حتى جاوزت شهرتها أقطارنا العربية، وكانت كتاباتها موضوعاً لدراسات غربية ورسائل جماعية في الغرب، بل وفي أوزبكستان واليابان.

رحلتها في تحصيل العلم

الجامعي فقط بل امتد إلى العديد من المؤسسات والهيئات الثقافية، التي شرفت بعضويتها مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الأعلى للثقافة، والمجالس القومية المتخصصة، وقد بلغت مؤلفاتها في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي أربعين كتاباً، نذكر منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، القرآن وقضايا الإنسان، تراجم سيّدات النبوة، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري، لغتنا والحياة، تراثنا بين الماضي والحاضر، القرآن وقضية الحرية الشخصية، مقدمة في المنهج، قيم جديدة للأدب العربي، الخنساء الشاعرة العربية الأولى، لقاء مع التاريخ، تحقيق رسالة الصاهل والشاحج للمعري وغيرها من المؤلفات الأخرى.

شخصيتها العلمية

تميزت بنت الشاطئ عبر مسيرتها العلمية بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإنسان وعلوم العربية وتحقيق التراث وتوثيقه، حيث سخرت قلمها للعديد من القضايا الفكرية والثقافية المهمة ومن أهم هذه القضايا.

التراث العربي

كان تحقيقها للنصوص نموذجاً فريداً في خدمة النص وتذليل ما فيه من عقبات وتقريبه إلى القارئ والباحث، بتوضيح ما فيه من غموض وتصحيح ما اعتراه من تصحيف أو تحريف، ومن أبرز ما قامت به في ذلك المجال تحقيق رسالة الغفران للمعري، وكتابة دراسة شاملة حولها، هذا إلى جانب دراساتها الأدبية والفكرية

الأخرى التي حملت روح التجديد، كما في كتابها المهم «تراثاً بين ماضٍ وحاضر»، الذي دعت فيه إلى النظر للتراث نظرة جديدة تمنحه روح الحياة ونبض العصر تستوعب من خلالها الماضي والحاضر المستقبل، وتقوم هذه النظرة على أساس الموازنة بين التراث والتجديد، فلا يعني الاهتمام بالتراث القديم، إهمال متطلبات التجديد في العصر الحديث، كما لا يعني التجديد إنكار التراث القديم الذي يمثل الذات العربية والشخصية القومية، ودعت أيضاً إلى ضرورة تضافر الجهود بين معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية والجامع العربية، ودور الكتب الكبرى، ودور النشر من أجل إحياء التراث ونشر كنوزه، وفاء بحق الأمة في أن تستضيء بتراثها لتستكمل وعي ذاتها وفهم تاريخها ومعرفة موقع خطاها من ماضٍ إلى حاضر.

اللغة العربية والقرآن الكريم

ومن القضايا التي خاضت غمارها بقوة قضية اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث برعت في إبراز دور اللغة العربية والغوص في أسرارها وتقصي بحورها عن طريق كتابها الشهير «التفسير البياني للقرآن الكريم» الذي تناولت فيه تفسير السور القصار من القرآن الكريم، وذلك من وجهة نظر خاصة، حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية، فعملت على تلمس الدلالات اللغوية الأصلية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، التي زاوجت من خلالها بين العقل والنقل في نقلها البياني، فأثبتت ما نقله الأقدمون من تفسير مع ما يتفق والمنطق العقلي في قبول هذا التفسير،

واستطاعت بهذه الخطوة التجديد في التداول، موجدة بذلك منهجاً جديداً ساهم في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، ومدافعة من خلال هذا المنهج عن اللغة العربية في عصر اعتبرت فيه هذه اللغة قاصرة عن إيجاد مصطلحات وافية في مختلف جوانب التقنية العلمية التي وصلت إليها البشرية في عصرنا الحديث، كما درست البيان القرآني والإعجاز القرآني مبينة ما يتميز به أسلوب القرآن الكريم بين فصاحة عربية تعد مثلاً رفيعاً لجمال أسلوب اللغة العربية وأثره في النفس في كتابها من أسرار العربية في البيان القرآني، وأوضحت في هذا الكتاب أثر دراسة البيان القرآني في معرفة أسرار اللغة العربية في قراءة منهجية ودقيقة لدراسة الحرف واللفظ القرآني في المصحف كله لتبين سياقه الخاص في الآية والسورة، وسياقه العام في القرآن كله، وتقول بنت الشاطئ عن اللغة العربية: «إن إصلاح اللغة العربية ضرورة، والتمسك بها أساس حياة، وحين تمتحن أمة بسرقة لسانها تضع بمسوخ شخصيتها القومية، وتشز عن ماضيها وتراثها وتاريخها، ثم تظل محكوماً عليها بأن تبقى أبداً تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمستعمر، حتى بعد أن يجلو عن أراضيها».

قضايا المرأة المسلمة

كانت الدكتورة بنت الشاطئ صاحبة نظر عميق في قضايا المرأة المسلمة، وموقف الإسلام منها، ومن أقولها في ذلك «طوفت في الآفاق لأسأل عما أعطاني الإسلام، وتأكدت أن الإسلام

أعطاني ما لو ظللت أكدح إليه العمر كله ما بلغته واحتاج لإعادة النظر في قضية المرأة والإسلام، وأخشى أن تكون الحركة النسائية المعاصرة أوقعت النساء في خصومة مع الرجل، مع أن ما بيننا وبينهم ليس تنافسا أو سباقا، لكننا رفاق رحلة عمر لا نستغني عنهم، ولا يستغفون عنا». وقد ترجمت بنت الشاطئ هذا الرأي عمليا، فقد كانت من الداعين لتشجيع المرأة المسلمة للإسهام في خدمة المجتمع من دون الإخلال بالوظائف والواجبات الأسرية، وتعظيم دور البيت، فالمرأة المتفرغة للأمومة تقوم بعمل كبير لا يجوز التقليل من شأنه أبدا، ودعت إلى ضرورة بناء علاقة ثقافية تفاعلية متبادلة بين الزوجين، فقد عاشت مع زوجها الشيخ أمين الخولي في انسجام ثقافي لتقول لبنات جنسها إن الزواج سكن روحي وجسدي وثقافي، كما أثرت المكتبة العربية الإسلامية بموسوعتها المامة «سيدات بيت النبوة»، التي بدأتها بـ «أمنة أم النبي، نساء النبي، بنات النبي، السيدة زينب»، ثم الكتاب الخامس عن السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، بهدف إعلام المرأة الجديدة بكيفية مشاركة المرأة في بيت النبوة في صنع تاريخنا وبأثرهن في حياة الرسول (ﷺ)، ومكانتهن العظيمة عنده، لتضرب بهذا المثل والقُدوة للمرأة كما يجب أن تكون، فقد رأت بنت الشاطئ في سيدات بيت النبوة مثالا للمرأة التقية الصالحة، التي تعد أساسا قويا للأسرة والمجتمع، حيث لقيت هذه الكتب الخمسة شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي، وترجمت إلى اللغات الفارسية والأوردية والإندونيسية

واليابانية، وتسببت في دخول نساء غير مسلمات إلى الإسلام، كان في مقدمتهن المستشرقة اليابانية كوماسو بعد اطلاعها على هذه السلسلة التي ترجمتها إلى اليابانية، حيث قدمت المثل الرائع لصورة المرأة من الناحية الإنسانية والحضارية، إلى جانب الناحية الدينية، فقدمت بذلك خدمة عظيمة للإسلام وصححت الصورة المشوهة التي أخذها الغرب عن المرأة العربية، إذ تصوروا أنها مهضومة الحقوق، لا تحصل على حريتها، ولا تشارك في أنشطة مجتمعتها، وتعيش حبيسة البيت بلا تعليم أو عمل. كما كتبت أبحاثا كثيرة حول المرأة العربية في عصرنا الحاضر مثل كتاب «المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية» الذي عرضت خلاله قضايا المرأة على نحو أعطانا نظرية متكاملة، تعالج قضايا المرأة في الحاضر وارتباطها بالماضي وتطلعها للمستقبل، ودعت إلى ضرورة تعليم المرأة، وسعت إلى كل مجال يؤدي إلى النهوض بالمرأة، وكان موقفها من قضية المرأة وما كتبته وما أوصت به دافعا لكثير ممن كتبوا عن المرأة في الإسلام، أو المرأة في القرآن الكريم، ما جعل المكتبة الإسلامية اليوم عامرة، يمثل هذه المؤلفات المهمة.

أوسمة وجوائز

وتقديرًا لدور بنت الشاطئ الكبير في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة، من أهمها جائزتان من مجمع اللغة العربية: الأولى في تحقيق النصوص عام ١٩٥٠م، والثانية في القصة القصيرة عام ١٩٥٢م، كما حصلت على الجائزة الأولى في

الدراسات الاجتماعية عام ١٩٥٦م، وعلى وسام الكفاءة الفكرية من ملك المغرب عام ١٩٦٧م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٨م، وجائزة الآداب بالكويت عام ١٩٨٨م، وجائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٩٤م، حيث تعد أول سيدة عربية تحصل على هذه الجائزة، كما كانت أول امرأة تحاضر في الأزهر الشريف، وتعد أيضا الكاتبة التي لم تنقطع صلتها بجريدة الأهرام المصرية على مدى أكثر من ستين عاما، ولعلها أطول مدة واصلت فيها كاتبة على النشر في صحيفة يومية في عالمنا العربي، حيث كان آخر مقال نشرته بجريدة الأهرام يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٨م، أي قبل وفاتها بإيام قليلة، حيث فاضت روحها في الأول من ديسمبر من العام نفسه، بعد حياة حافلة بالعطاء في مجال الثقافة العربية والفكر الإسلامي.

مصادر المقال

- ١ - بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، عوض علي الغباري، الناشر: المجلس القومي للشباب، السلسلة الثقافية للطلائع، العدد ٢٨ مارس ٢٠٠٧م.
- ٢ - د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، أحمد محمد علي، مركز خطوة للدراسات والتوثيق.
- ٣ - عائشة عبدالرحمن، نموذج لأعلام النساء المسلمات، د. محمد أحمد عبدالهادي، جريدة الشرق القطرية.
- ٤ - عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، عماد عبدالراضي، ملف خاص، جريدة الأهرام المصرية.
- ٥ - عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، موقع الهيئة المصرية للاستعلامات.



لا تأخذوا دينكم ولا علمكم عن محرك غوغل (Google)

ليس هذا العنوان من قبيل نسج الخيال الأدبي أو العلمي أو الفلسفي.. أو لغرض الجذب الإعلاني، أو لهدف التحفيز والسبق الإعلامي قط. فهو -والله- ليس من هذا ولا من ذاك الغرض البتة، بل هو عنوان موضوع خطير ومهم وحيوي ومصيري استقيته من صميم تجربتي التعليمية والتربوية التي بلغت أربعة عقود كاملة في التدريس في مرحلتي التعليم الثانوي العام والجامعي وفي مختلف وميادين حقول المعرفة العربية والإسلامية ومعارف الوحي المقدس وشريعته الإسلامية الغراء .

ساهم هذا النظام في الرفع من قدرها ومكانتها أيضا، وجود وتوفير النوعية المتميزة من التلاميذ والطلبة المعدين تربويا، والمهيئين تعليميا، والمؤسسين معرفيا وعلميا ومنهجيا وثقافيا وأدبيا وروحيا وأخلاقيا.. والمتحفزين

الإسلامي التكويني والتأطيري الرصين، المقدس والمجد لحرمة أركان العملية التعليمية المكون من: (المؤسسة التعليمية، المعلم، المتعلم، قداسة وحرمة العلم، الكتاب والمكتبة والقراءة، الأسرة، المجتمع، الدولة، المسجد، الإعلام..)، وقد

إذ مضت العقود التعليمية الثلاثة الأولى من مساري وحياتي التعليمية والتربوية كغيري من أبناء جيلي من المدرسين والأساتذة الجامعيين وفق النسق التربوي والتعليمي القائم على النظام التعليمي والتربوي العربي

والمشحونين بسائر القابليات النفسية والوجدانية والعقلية لكل عمليات التكوين والتأطير والارتقاء الحضاري.. وغيرها.

وظلت المنظومة التعليمية والتربوية تسير وفق هذا النمط المحترم من التعليم والتأديب، حتى أطلت علينا برؤوسها وسائط الموجة الإعلامية الخامسة مطلع الألفية الثالثة، حاملة معها أمشاجا وركاما وخليطا هجينا من سيول الثقافات وركام المعارف والتقاليد والقيم والأنماط والأنساق والمناهج.. بغثا وسمينا، ونافعا وضارها، وحسنا وفاسدها وقبيحا وسيئها جدا.. وذلك عبر وسائل الضخ الإعلامي الشبكي والإلكتروني المزلزل والجارف لكل ما يعترض سبيله.. فإذا بالعلمين العربي والإسلامي وفي ظرف زمني قياسي قصير يجد نفسه أمام سيول جارفة وزلازل مدمرة من دون أن يعد لها السدود والحواجز وقواعد الأمان والتأمين الحضاري والروحي والثقافي الشامل.. وما كاد يمر عقد من الزمن الإلكتروني والشبكي المزلزل حتى صارت حصوننا متفجرة من داخلها، واستحالت قلاعنا الدينية والروحية والأسرية الحصينة محتلة من قبل الجهات الخفية التي تدير هذه الشبكات المفضوحة النوايا والغايات، والتي تعمل جاهدة ليل نهار على تحريك هذه السيول الخليطة من الصور والأفلام والأشرطة والمشاهد والتعاليم والحصص والفضاءات الخليطة.. التي أفسدت علينا كل

حياتنا الدينية السوية، ومزقت كل جميل في قيمنا ومثلنا ومبادئنا العربية الإسلامية، والتي لم نعد نقوى معها على أي حراك أو مقاومة أو رد..

وللأسف الشديد فقد رحب العالم العربي والإسلامي بفتوحات العولمة الإلكترونية وبشبكات البحث مع بداياتها الأولى، ولاسيما بعد اهتمامها بتخريج كتب الحديث الست ثم التسع وتوفيرها الجهد والوقت على الباحثين، وبشواطئها الدؤوب لتصوير الكتب والمصادر النادرة والمراجع المهمة، ونقل المحاضرات والدروس والخطب والفتاوى ونحوها.. وعاش الباحثون والمعلمون والعملية التعليمية معهما مرحلة المزاوجة بين الوسائل التقليدية القديمة والانفتاح على الوسائط الحديثة، ثم دخلوا مرحلة الانتقال من الورقي نحو الإلكتروني الضوئي، إلى غاية استغنائهم عن الورقي والمكتبات والكتب والقراءة الرصينة ولذة المشاركة والحضور الشخصي للدروس والمحاضرات والخطب وزيارة المكتبات والمساجد.. واستعاضتها بالافتراضي والإلكتروني ونحوه..

ولو أن الأمر بقي محصورا عند تلك الوضعية والشريحة الاجتماعية العامة لهان الحال والخطب، ولكن أن ينتقل بسرعة مذهلة ويمس أفضل وأرقى شريحة اجتماعية في الأمة، فيدمرها ويقضي على كل قابلياتها وملكاتهما ومهاراتها.. فإن المسألة يجب أن لا يسكت عنها، وأن يشار إليها بالبنان، بل

ويندد بها بكل موضوعية وحيادية وحمية أيضا، لأنه كان -وما زال- أول ضحاياها ومنكوبي موجاتها الإلكترونية الشبكية الطاغية مجال التعليم وسائر قطاعاته كالمعلم والعملية التعليمية والتربوية برمتها، ولاسيما الجامعية منها، وعلى وجه الخصوص العلوم الشرعية والدينية الإسلامية، التي اعتراها الضعف والهزال والقصور والخلل بسبب هذه الموجة الإلكترونية الطاغية، التي توالى عليها الأعطاب والأعطال في سائر أجهزتها التعليمية والتربوية الحيوية..

وفي ظلالها الجاهلية العمية نشأت وترتبت أجيال لا تقرأ، ولا تكتب، ولا تفهم، ولا تحلل، ولا تستنتج، ولا تتذكر، ولا تسترجع أيضا.. ولا تحسن نسخ خط، ولا رسم سطر حسن، أو رصف جملة مفيدة ومعبرة.. وذلك كله بسبب الاعتماد على تلك الوسائط الباردة القتالة، والتي استحالت معها -للأسف الشديد- الأجيال فاشلة هشة العظام، مكسورة اليدين، مشلولة العقول، ميتة الضمائر والأرواح.. لا يتحمل عقلها تذكر اسم كتاب مهم وسهل ومشهور يضم أربع كلمات متتاليات، ففي تجربة أجريتها على طلبة كلية العلوم الإسلامية الذين أدرسهم بجامعة باتنة بالقطر الجزائري والذين فاقوا الألف طالب وطالبة، بهدف تذكر اسم كتاب (قصص الأنبياء لابن كثير) إذ جاءت النتائج مخيبة للأمل وأفادت بتعثر أكثر من سبعين بالمائة منهم عن تذكر

هذا الكتاب ومؤلفه لو ما قاموا بتصويرهم للغلاف بجهاز الهاتف المحمول، بل منهم من عجز كلية أن يذكر كلمتين منه.. وهذا اختبار ميداني سريع يفسر ويوضح حالة العطالة والعطب التي آلت إليها الأجيال الجامعية المسلمة.. فما بالك بغيرها من الدراسات الميدانية التي قامت في هذا المجال؟

غير أن الآفة الأكثر رزية وزرابة بالعلم وأهله اعتماد غالبية المشتغلين بالعلم الشرعي وغيره -أساتذة وطلابا- اعتمادا كليا على محرك: (غوغل-Google) في البحث والتأليف والكتابة.. وفي مجال الفتوى وسائر المعارف الشرعية من: علوم القرآن والتفسير والمقاصد والأصول والفقه وسائر العلوم الشرعية الأخرى.. وغدا حالهم في خضم هجران كلي للمكتبة وللكتاب الشرعي، معتقدين أن ذلك هو الطريق الأوفر والأسلم في البحث وأخذ علوم العربية والشريعة الإسلامية.. ذاهلين عن منافع وفوائد وضوابط التأدب على أخذ العلم من الكتاب وشروحه من أفواه العلماء..

وإليكم بإيجاز مخاطر ترك أخذ العلم من الكتب المشروحة ومن أفواه العلماء وفق المنهج الذي سلكناه خلال مراحل تكويننا الديني، ولعل أهمها الآتي:

١ - عدم معرفة أسماء الكتب، لأن نصف العلم والمعرفة يختزل في معرفة أسماء الكتب، فمن لا يعرف أسماء الكتب وتخصصاتها ومجالاتها يجهل سبل أخذ العلم.

٢ - عدم تكوين بناء معرفي علمي رصين ودقيق ومرتب. ففهارس كتب الشريعة كالفقه مثلا تجدها مرتبة ترتيبا على نسق يعرفه أهله ومتأدبوه.. (باب النية، باب الطهارة والمياه، باب التيمم والمسح.. باب الصلاة..) وهكذا.. وقد نشأت الأجيال المسلمة جاهلة بكل هذا وذلك..

٣ - حصول الفوضى المعرفية بفعل الضخ والخلط والتداخل المعرفي (الغوغل Google)، فهذه معلومة عقدية وتلك فقهية والأخرى أصولية وتينك تفسيرية وهكذا يصير طالب العلم الـ (غوغل Google) مجرد وعاء مليء ومحشو بخليط فوضوي لا أنساق معرفية أو علمية تتنظمه.

٤ - نشوء جيل إلكتروني -بل أجيال- مرتبطة ارتباطا عضويا ومصيريا بالشبكة وضوئها وتدفعها ونحوه.. ينتظرون الرحمة العلمية والمعرفية والبحثية من الشيخ (غوغل Google) كي يفتي لهم، أو يعلمهم، أو يبحث لهم..

وللأسف الشديد فإن هذا هو الفرد والظرف والنوع والصنف الذي يبحث عنه أعداء الإسلام بعد أوان زوال العلم كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في حديث زياد بن لبيد (ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد..) (أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد)..

٥ - نشوء جيل من علماء محرك البحث (غوغل Google) تفتقد ثقافتهم الدينية لمنطقية وتسلسل عرض العلوم الشرعية بشكلها التقليدي وبمباحثها المعروفة لدى

أهل الاختصاص..

٦ - ضياع العلم الشرعي وارتباك الأمة في حل مشاكلها والإجابة على نوازلها الدينية المختلفة، فيظهر جيل من الرؤساء الجهال الذين يفتون بغير علم، فيهلكون ويهلكون، ويضلون ويضلون.. كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق..

٧ - عدم الثقة في الجهات القائمة على محركات البحث في قادم الأيام والأعوام من تحريف العلم الشرعي وأقوال العلماء وخطبهم ودروسهم بالطرق الشيطانية والإخراجية الإلكترونية، التي تحول الحق باطلا والباطل حقا، فلا قيمة ولا اعتبار لنموذج (وورد) ولا (بي دي أف).. فيتم حذف حرف، أو كلمة أو جملة، أو تبديل وتغيير كلمة أو نحوها فيتغير المعنى وفق هوى وهدف القائمين على محركات البحث، ومن ثم إحكام السيطرة على الأجيال المسلمة لا قدر الله.

٨ - تحول الأجيال المسلمة إلى العوبة بأيدي أعداء الإسلام.. وغيرهم ممن يتلاعبون بالعقول والمحركات الشبكية الإلكترونية بعد أن يفقدوا البوصلة المنهجية الأصلية التي ترشدتهم نحو العلم الشرعي الصحيح والسوي..

وفي الختام وجب على الجهات الوصية من القائمين على مؤسسات التعليم الجامعي وغيره إعادة تكوين النخب الشرعية وفق مناهج ومراحل وخطوط أخذ العلوم الشرعية، وعدم إيكال هذا المهمة الحضارية الرسالية للغير.. ولينصرن الله من ينصره.



جمع القلوب حوله قبل أن يرحل: الطفل ريان أيقونة أضاعت تراحمنا



- فرق الإسعاف المغربية أخرجت الطفل ريان ميتا من البئر بعد خمسة أيام

القلوب المؤمنة الصمت فسارعت إلى الاستجابة كل بطريقته.

حول البئر تجمع العشرات، وفي غرفة عمليات خاصة بمحاولة الإنقاذ اجتمع الاختصاصيون من خبراء حفر بالآلات وخبراء حفر يدوي ومن تقنيين يمدون الأسلاك للإضاءة والأنابيب للتغذية وكاميرا لمشاهدة ما تعجز العين المجردة عن مشاهدته.

أربعة أيام انقضت تمر ساعاتها ثقيلة ليلا ونهارا من عصر الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، الأول من فبراير إلى عصر السبت الرابع من رجب، الخامس من فبراير، مرت أربعة أيام ومع اليوم الخامس انتهت أعمال الحفر الدقيقة وخرج أحد الخبراء فيه يبشر المتابعين بأن مترين فقط

الأمّة» وهذا الإرث العظيم نتوارثه عن الرسول ﷺ قدوتنا وسراجنا المنير.

سقط الطفل ريان في بئر عمقها يزيد على ثلاثين مترا كان قد حفرها أبوه في تلك القرية التي يسكنها في منطقة شفشاون شمالي المغرب طلبا للماء.. كانت البئر جافة وكان ريان مملوءا بالعافية.. ومن جديد كان لوسائل التواصل الاجتماعي دور في نقل ما حدث من هاتف إلى هاتف ومن شبكة إلى أخرى ومن تغريدة إلى صورة ومن تقرير إلى مقال.

اجتمعت القلوب الرحيمة على المشهد المؤسف.. طفل لا حول له ولا قوة في عمق الأرض يكاد يهلك بلا هواء صالح يتنفسه وبلا طعام يسند عوده أو شراب يربط أعضائه ويبيل ريقه.. لم تحتمل

تعلقت القلوب - قبل أن تتعلق الأبصار- بشاشات تنقل أخبار محاولة مستميتة لإنقاذ الطفل المغربي ريان.. أطفال في مدارسهم اصطفوا يدعون المولى أن ينجي قريتهم، ونساء في القرية تجتمعن لدعم المنقذين بطهو الطعام، ورجال لم يناموا بالأيام للإسراع بتنفيذ النفق المطلوب حفره كي يصلوا للطفل قبل فوات الأوان، وأطباء مختصون بالإنعاش تدفقوا لإنقاذ ريان قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكن لله حكمة وعنده الجنة والمستقر.

لساعات طويلة كانت الأسر العربية من المحيط إلى الخليج تترقب وقد أضاعت العاطفة الرحيمة القلوب وعنونت هذه الأزمة بعنوان كبير «الخير ما زال في هذه الأمّة» و«الرحمة ما زالت في هذه



رحل ريان مشيرا إلى أطفال آخرين ما زالوا في بئر الفواجع باليمن وسورية والصومال وغيرها وغيرها من البلدان، بعضهم يموت جوعا وبعضهم يموت بردا (حقيقة لا مجازا).. رحل ريان بجسده مضيئا بقصته قصصا لأهل الخير وما أكثرهم في بلادنا فالحمد لله أولا وآخرا.

تمر دقائقها على الأعصاب ويخرج المنقذون بالطفل ريان جثة.. صدمة.. حزن.. بكاء.. لكن ثمة صوتا يتردد في أعماق الأمة.. صوت الطفل ريان يقول لنا: ها قد اختبر الله الرحمة في قلوبكم فهنئا لكم.. رحل ريان جسدا لكنه سيظل أيقونة تجتمع من حولها القلوب المسلمة الرحيمة..

يفصلان بين المنقذين والطفل ريان الذي ما زال يتنفس. الترقب هو سيد الموقف، والأدعية مظلة المؤمنين في المشرق والمغرب، وصيحات التكبير تتعالى مع كل خبر عن اقتراب جديد.. سيارة الإسعاف تقترب من مدخل النفق المحفور بزاوية ميل محسوبة ليلتقي مع البئر العمودية. متر فقط ونصل إليه.. تمتلئ القلوب آملا.. تتسرب تسجيلات يشاهد بها العالم الطفل وهو يتناول في وهن شرابا عبر أنابيب مدت إليه ويستشير الجميع وتتعلق الأبصار بمشهد يفرح القلب.

يخرج رجال الحفر منهكين ويدخل الأطباء.. إذن هانت والطفل سيخرج إلى حضن والديه وإلى حضن العالم. لكن ليس للإنسان إلا السعي، والله الأمر من قبل ومن بعد. ساعات ثقيلة

بيان الديوان الملكي المغربي

جاء في بيان الديوان الملكي المغربي أنه «على إثر الحادث المفجع الذي أودى بحياة الطفل ريان أورام، أجرى صاحب الجلالة الملك محمد السادس اتصالا هاتفيا مع السيد خالد أورام والسيدة وسيمة خرشيش والدي الفقيد، الذي وافته المنية، بعد سقوطه في البئر». وأشار البيان إلى أن الملك «كان يتابع عن كثب تطورات هذا الحادث المأساوي، حيث أصدر تعليماته السامية لكل السلطات المعنية، قصد اتخاذ الإجراءات اللازمة، وبذل أقصى الجهود لإنقاذ حياة الفقيد». وأضاف البيان أنه عبر «عن تقديره للجهود الدؤوبة التي بذلتها مختلف السلطات.. وللتضامن القوي، والتعاطف الواسع، الذي حظيت به أسرة الفقيد، من مختلف الفئات والأسر المغربية، في هذا الظرف الأليم».



أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال وعلاجها

والإبداع.

القسوة والعنف مع الأطفال

يعتقد بعض الآباء والأمهات أن استخدام أسلوب القسوة والعنف مع الأطفال هو الحل الأمثل لعلاج أخطائهم، والاعتقاد في أن العنف سيجعل الأطفال يخافون من العقاب فلا يأتي الأطفال الخطأ، فالقسوة والعنف مع الأطفال تجعلهم يخافون في وقت حدوث المشكلة فقط (خوف مؤقت)، ولكنهما لا يمنعهم من تكرار السلوك مستقبلاً.

رشوة الأطفال على أعمالهم

يعتاد كثير من الآباء والأمهات رشوة الأطفال على أعمالهم المرغوبة والتي

مقارنة الأطفال بغيرهم

قد يلجأ الآباء والأمهات إلى مقارنة الأطفال بغيرهم في السلوكيات بهدف تصحيح أخطائهم، كأن تقول الأم لطفلها: «إن أخاك أفضل منك، وهو يقوم بمذاكرة دروسه بانتظام ويحل واجباته؛ لماذا لا تكون مثله؟».

السخرية من الأطفال وعدم

تقدير عقليتهم

كثيراً ما تقابل الأسرة أخطاء الأطفال بنوع من السخرية والاستهزاء، وعدم تقدير أخطائهم، والضحك من كلامهم، مما يؤثر سلباً على هؤلاء الأطفال، حيث إصابتهم بالإحباط، واضمحلال قواهم الشخصية، والبعد عن التفكير

تحرص الأسرة على تربية أبنائها، وتوفير احتياجاتهم، ومعاملتهم بكل رفق ومودة، وبالرغم من ذلك نجد بعضاً من الآباء والأمهات يتسمون بالعصبية وحدة المزاج ولا يعرفون إلا القسوة والغلظة، كل الحلول لديهم بالعصا والصراخ واللعن والسب عندما يقع الأطفال في خطأ؛ لذا كان هذا المقال للوقوف على أبرز أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال وكيفية علاجها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً - أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال:

من مظاهر أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال ما يلي:

يريدان من الأطفال أن يفعلوها، كأن تقول الأم لأطفالها: «لأن انتهيت من الإزعاج سأعطيكم كذا»، واستخدام هذا الأسلوب بصفة مستمرة فيه خطورة كبيرة على تربية الأطفال، نعم قد يكون أسلوبا مريحا للوالدين بصفة مؤقتة لعلاج سلوكيات الأطفال الخاطئة؛ لكنه يعود الأطفال على عدم فعل الصواب إلا إذا كانت هناك مكافأة، وهذا أمر خطير.

ثانيا - علاج أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال؛

يمكن علاج أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال من خلال ما يلي:

- على الأسرة احترام عقلية الأطفال، وطرق تفكيرهم، ومشاركتهم في الرأي، وإشعارهم بأنهم أفراد في الأسرة لهم احترامهم، وأن آراءهم لها كل التقدير. وعلى الأسرة أيضا التعامل مع الأطفال بحذر، وعدم تسفيه أخطائهم أو السخرية منها، وتجب معاونة الطفل المراهق على حسن التعامل مع البيئة في الظروف الجديدة التي تعترضه، وأن تعدد للاعتماد على نفسه، وهذا يكون بالتشجيع، وبتكليفه ببعض الأعمال المنزلية التي يستطيع القيام بها.
- يظن بعض الأسر أن استخدام أسلوب القسوة والعنف مع الأطفال يجعل الأطفال يشبون على طاعة الأوامر، وهذا غير صحيح، فالأصل في معاملة الأطفال الرحمة بهم، وإظهار الحب لهم والعطف والحنان، وإشعارهم بذلك من جميع أفراد الأسرة، خصوصا الآباء والأمهات، والواقع يشهد أن مجرد العقوبة لا يعالج أخطاء الأطفال، وإنما يعالجها الحوار الهادئ والإقناع والحكمة، وعدم التأنيب والتقريع والسخرية من الأطفال، ويجب على الآباء والأمهات التغافل عن الأخطاء التي يمكن التسامح فيها، وتوجيه

الأطفال في الأخطاء الكبيرة، بأدب جم ولفتة مشرقة، ونبرة حانية، وصوت يفيض منه الصدق والحب واللين والرفق، وعدم تذكير الأطفال بأخطائهم وأوجه القصور التي وقعوا فيها فيما مضى، وإن كان لابد فليكن في صورة غير مباشرة وبحسن الكلام ولطيف العبارات.

ومن الجدير ذكره أن الدراسات التربوية والنفسية أثبتت أن الأطفال الذين يتعرضون للضرب والعنف والقسوة بصفة مستمرة يصبحون عنيدون وتصدر عنهم علامات الغضب الشديد والسلوك العدواني، ويعانون من كوابيس مزعجة ليلا، وبعض مشكلات التكتم والإحساس بأنهم غير مرغوب فيهم، ويعانون من عدم الثقة بالنفس والإحساس بالانحطاط والدونية.

- على الأسرة تعويد الأطفال على فعل الصواب والابتعاد عن الأخطاء ليس انتظارا للمكافأة، ولا هروبا من العقاب، وإنما لأن هذا واجب يجب على الأطفال فعله حتى يصبحوا أفرادا صالحين في المجتمع؛ وحتى يستطيعوا القيام بأداء ما عليهم من حقوق وواجبات.

- لتعلم الأسرة أن مقارنة الأطفال بغيرهم طريقة غير صحيحة في العلاج، وهي طريقة تجعل الأطفال يغارون من إخوتهم الذين تعتبرهم الأسرة أفضل منهم، وتترك انطبعا نفسيا بأن الوالدين يحبان إخوتهم أكثر منهم، ثم يقومون بتفسير كل سلوك نحو الإخوة من جهة التفضيل، ما قد يجعلهم يدبرون لهم المكائد.

والأفضل من أسلوب المقارنة بث الثقة بالنفس في الأطفال، وذكر محاسنهم، وحثهم على المداومة على هذه المحاسن. وختاماً: يجب على الأسرة (الآباء والأمهات والإخوة والأخوات) مراجعة أنفسهم، وتغيير نمط تفكيرهم عند التعامل مع أخطاء الأطفال، واتباع

أساليب الحوار معهم، والبعد عن العصبية والحدة والعناد، والتفكير بهدوء، والتصرف بحكمة، والتعامل برفق وصبر، والنظر بصدق إلى النتائج، وبعد النظر، وقوة في توقع النهايات.

وعلى الأسرة الاستفادة من صفاتها الفطرية التي وهبنا الله ألا وهي المشاركة الوجدانية والإيحاء في تعديل سلوكيات الأبناء مع الحرص على سرد القصص التربوي الهادف، خصوصا مع الأطفال الصغار.

ويمكن القول إنه على الأسرة استخدام الأساليب التربوية الفاعلة والمتنوعة والمناسبة لكل حالة يراد تعديل سلوكياتها.

المراجع

- أيمن الشربيني، هموم الآباء والأمهات في تربية البنين والبنات، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
- بثينة العراقي، خطوات في تربية الأولاد والبنات، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.
- سارة العبدالله، مفاهيم أسرية، الرياض، مكتبة السعيد، ١٤٢٢هـ.
- سلمان العمري، في أروقة المحاكم، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.
- عادل فتحي عبدالله، أخطاؤنا في معالجة الأخطاء، ط١، الإسكندرية، دار الإيمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.
- عزت عوض خليفة، تربية الأولاد كيف نجعلها متعة؟ القاهرة، دار الذخائر، ١٤٢٣هـ.
- محمد بن سعد آل زعير، الغرس المبارك (يا أبتني، ارحم طفولتي ومراهقتي)، الرياض، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.
- مها علي أيوب، نظرات في تربية البنين والبنات، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ١٤٣٤هـ.



فن التربية بالفسحة للأطفال

نفسها التي يدرس بها الطفل، أو زيارة قريب لصلة رحمه داخل الحي الذي تعيش فيه الأسرة.

ب- فسحة خارجية: خارج المدرسة، كالرحلات التي تنظمها إدارة المدرسة أو الروضة باصطحاب أولياء الأمور أحيانا مع بعض أعضاء التدريس والمشرف. أو بزيارة قريب للأسرة في مكان بعيد عن الأسرة، في منطقة أخرى.

٢- أنواع الفسح من حيث الغاية: ينبغي للمربي أن ينوع للطفل

وسعة، وذلك عن طريق الفسحة أو الزيارات أو النزاهات أو الرحلات؛ ففي خروج الأطفال فسحة داخلية أو خارجية، مدرسية أو منزلية، تجديد ونشاط وحيوية لاستعادة النهوض من جديد، خاصة إذا كانت الفسحة في إجازة دراسية أسبوعية أو فصلية أو سنوية. وفي هذا المقال سنتوقف عند أنماط الفسح على اختلاف غاياتها.

١- أنواع الفسح من حيث البيئة المكانية:

أ- فسحة داخلية: داخل المدرسة

تعد سمة (الحركية) إحدى خصائص مرحلة الطفولة المبكرة التي ينبغي على الوالدين أن يتفهمها؛ ليتعاملوا بحكمة معها، ويعملوا على معالجتها بما يتناسب مع طبيعة المرحلة العمرية؛ لتلا تتحول إلى مشكلة سلوكية (فرط حركة)، ومن تلك الوسائل التربوية الناجعة التي تخرج الطفل من مشكاة السمات العمرية للأطفال: (فن التربية بالفسحة) فهو وسيلة تربوية لتغيير البيئة التربوية إلى بيئة أخرى أكثر انطلاقة واتساعا

من الفسح؛ فلا يكتف الوالدان بفسحة العطلة الأسبوعية أو يكتف المعلم بالفسحة الصفية (المدرسية/ الروضة)، وإنما ينوع منها؛ فكل له غاية؛ ولهذا تتلخص غايات (الفسحة) فيما يأتي:

أ- فسح تربوية:

المربي القدوة هو الذي يتخير من الأساليب أنفعها هدفاً، وأسماها غاية؛ فالفسحة التربوية لأطفالنا، باصطحابهم إلى المساجد، خاصة (صلاة الجمعة)، أو بزيارة العلماء والصلحاء، ومن النماذج التي نقنقدي بها في هذا فعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما زار خالته ميمونة فبات عندها، وأفاد من هذه الفسحة سلوكاً تعبدياً، ألا وهو اقتداؤه بالنبي في قيامه الليل.

ب- فسح تعليمية:

ينبغي للمعلمين والمعلمات وأولياء الأمور، أن يتخذوا بديلاً للحجرات الدراسية، أو الغرف المغلقة لمذاكرة الأطفال، ليجعلوا مكاناً بديلاً لهم عند الملل، وقد أشار إلى هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما حينما أردفه النبي ﷺ خلفه، فانطلق به خارج البيئة التربوية (المسجد) ليعلمه عقيدته في ربه بمراقبته له مع الاستعانة به وحسن التوكل عليه، فعن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل

الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١)، ولهذا ينبغي أن نروح عن طلابنا في المدارس بأخذهم ولو مرة أسبوعياً يوم العطلة إلى مكان بديل لحجرة الدراسة، كحديقة المدرسة أو صالة الأنشطة لنشرح لهم فيه، ناهيك عن حصة الألعاب الرياضية التي لا فكاك عنها.

ج- فسح اجتماعية:

لاشك أن الطفل الذي ينشأ معزولاً عن الجيران والأصدقاء والأقارب، تشكل شخصيته متلبسة بكثير من المشكلات السلوكية، كالانطوائية والهروب من تحمل المسؤولية والتبعية والتردد... ويعالجها الفسحة الاجتماعية، وذلك بزيارة باصطحاب الوالدين للأبناء عند زيارة أحد الأقارب، من الأعمام أو العمات، أو الأخوال أو الخالات...، أو زيارة أحد الجيران أو الأصدقاء، خاصة في العطلة الأسبوعية، فينشأ الأطفال في علاقات اجتماعية ناجحة ناجعة، تتعامل مع المجتمع ويتعامل معها، وساعتها يتحقق قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، كما أن طبيعة الأطفال فيما قبل البلوغ تتسم بحب تكوين الصحبة، واللعب في مجموعات، وهذا لن يتحقق لطفل

انطوائي عن المجتمع.

د- فسح ترفيهية:

تتعدد أنواع الفسح الترفيهية، فمنها ما هو داخل الفصل الدراسي، وذلك لقضاء قسط من الراحة وتناول طعام، وكذلك اللعب، وما تنظمه المدرسة من الرحلات أو زيارة الأماكن الجميلة، ولا يمكن إهمال دور الأسرة في الترفيه التربوي، باصطحاب إلى المصيف نهاية إجازة العام الدراسي، أو ترفيه داخل منزلي؛ بأن يكون الترفيه في صورة تشجيع وتحفيز، فإذا ما أتوا واجباتهم أو رتبوا أدواتهم أو طووا فرشهم عند الاستيقاظ من النوم، جعلنا هذه الفسحة محفزا لهم، بالذهاب إلى حديقة أو منتزه أو رحلة، وبذلك نكون قد نجحنا في تطبيق استراتيجيتين من استراتيجيات التربية الإيجابية لتعديل السلوك.

وفي الختام، ينبغي للأباء والمعلمين والمعلمات أن يراعوا مرحلة الطفولة؛ فيعطوا الأطفال حقوقهم المرحلية في الترفيه واللعب والتسلية؛ حتى ينشأ جيلهم على حب العمل والنشاط والاختلاط بالمجتمع، يسعدون به ويسعد بهم.

الهوامش

١- حديث صحيح: سنن الترمذي: تحقيق إبراهيم عطوة، (٤/ ٦٦٧).



صور من البر والعقوق

رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
(الإسراء: ٢٣-٢٤)، قال علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الآية: «لو كان هناك شيء في العقوق أدنى من أف لحرمه».

وأوصى الله تعالى الإنسان بتقديم الشكر للوالدين على ما قاما به من رعاية وعناية وتربية، وجعل شكرهما من شكره، وحثه على مزيد من البر والرحمة خاصة عند كبرهما، واعتبر الإسلام ذلك من باب الوفاء على ما قدماه من معروف في الصغر قال

تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ

من الوالدين، أم أنه دين يقضى فكما تدين تدان، أم بسبب رفقاء السوء؟ إن قضية بر الوالدين من القضايا الهامة في حياة كل إنسان، بل ربما تحدد مصيره في دار القرار إما الجنة وإما النار، إذن فالقضية خطيرة، ولذلك جاءت منزلة بر الوالدين بعد طاعة الله عز وجل،

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ

إن المتتبع لقسم الحوادث في الجرائد والصحف اليومية، يظن أن القيامة قد اقتربت وأن علامات الساعة قد لاحت في الأفق من كثرة العقوق بين الأبناء، فهذا ابن يفقأ عين والدته، وآخر يحرق والدته، وثالث يضرب والده، ورابع يطرد أبيه من البيت ويرفض أن ينفق عليه.

هذه ليست مشاهد درامية في مسلسل تليفزيوني مبالغ فيها، وإنما هي مشاهد واقعية حقيقية تحدث كل يوم وتتزايد كل يوم، فما هو السبب؟

هل هو البعد عن الدين والقيم والأخلاق التي تربت عليها الأجيال السابقة، أم أنه التقصير في التربية





إِلَى الْمَصِيرِ ﴿ لقمان: ١٤ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونه بثلاث لا تقبل واحدة بغير الأخرى:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩)، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، فمن صلى ولم يخرج الزكاة لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (لقمان: ١٤)، فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.

وقد بينت السنة أن بر الوالدين من أفضل الأعمال، فقد سأل ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ: (أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله).

وهما من أحق الناس بحسن الصحبة كما أخبر النبي ﷺ الرجل الذي سألته: (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك) ^(١).

وجاء صحابي إلى الرسول ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام: (أحي والدك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد) ^(٢).

صور بر الوالدين حال حياتهما

- طاعتهما في كل صغيرة وكبيرة ما لم تكن في معصية الخالق، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- توقيرهما، واحترامهما، وتعظيم شأنهما، وخفض الجناح لهما، ومن علامة التوقير، عدم رفع الصوت فوق صوتهما، وأن لا يؤثر عليهما زوجة أو ولد، وأن لا نمشي أمامهما، وأن لا ندعوهما باسمهما.

- إكرامهما والقيام على شؤونهما، وتقديم كل ما يحتاجانه من طعام وشراب وكسوة خاصة عند الكبر والمرض، والسهر على راحتهما ودفع الأذى عنهما.

- عدم سبهما أو شتمهما ولو بأدنى ألفاظ الإساءة والتجريح، أو التسبب في سبهما من قبل الآخرين.

بر الوالدين بعد الموت

ويستمر بر الوالدين حتى بعد موتهما وهنا تتجلى عظمة الدين الحنيف، وأن علاقة الابن بأبيه لا تنتهي أبداً، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل بقي على شيء من بر أبوي بعد موتهما أبرهما به؟ قال النبي ﷺ: (نعم، خصال

أربع: الصلاة عليهما (والمقصود الدعاء لهما)، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما) ^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه) ^(٤).

نماذج رقيقة من بر الوالدين

- ويروي عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير! فقال عبدالله بن عمر: إن أبا هذا كان ودا لأبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه) ^(٥).

- وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه: إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك في صحيفة واحدة، فقال: أخاف



أن تسبق يدي يدها إلى ما تشتهي عيناها فأكون قد عققتهما.

- وقد بلغ بر ابن سيرين بأمه مبلغاً عظيماً، حتى قال: والله ما ارتقيت سطح بيت ووالدتي في البيت تحتي، لئلا ارتفع عليها. وكان يقدم لها الطعام فلا يبدأ حتى تبدأ، وكان لا يأكل من الإناء الذي تأكل منه، فسئل عن ذلك فقال: أخشى أن تقع عينها على شيء من الطعام فأخذه، فأكون عاقاً لها. وكان إذا جلس أمامها لا يمد بصره، بل كان يخفض من بصره أمامها، وكأنه عبد مملوك.

- وها هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله جعل من نفسه خادماً لأمه، يغسل ثيابها، ويصنع طعامها، ويقول لها: ألك حاجة؟ لأنه أخرج حديثاً عن معاوية بن جاهمة أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وجئت أستشيرك. فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال ﷺ: (فألزمها، فإن الجنة عند رجلها)، وفي رواية الطبراني: (ألك والدان؟ قلت: نعم. قال: ألزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما) (١).

- وقال المأمون: لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهم السجن من الوقود في ليلة باردة، فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم من نحاس، فملأه ماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده إلى الصباح، حتى استيقظ يحيى من منامه.

هذا هو البر الحقيقي عطاء بلا حدود ودائم ومتصل طوال العام، وليس يوم واحداً في العام، وليس بر الوالدين شرطاً أن تقدم هدية مادية، ربما يكون البر الذي ينتظره الوالدين كلمة طيبة أو معاملة حسنة أو اهتمام لا أكثر.

ثمرات بر الوالدين

- إجابته الدعاء: روى عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ (إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني، وله والدة هو بر بها، لو أقسم على الله لأبره....) (٧).

- تفريج الكرب: كما في حديث ابن عمر: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم....) (٨).

- بركة في العمر والرزق، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه) (٩).

- غفران الذنوب: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى رجل فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ فقال: (هل لك من أم؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرها) (١٠).

صور من عقوق الوالدين:

- وكما أن لبر الوالدين صوراً متعددة وفضائل كبيرة، فإن للعقوق عقوبات كثيرة ومتنوعة كما بينت

السنة النبوية.

- لقد حرم الإسلام العقوق وجعله من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قال أبو بكر: قلت: ليته سكت) (١١).

- أن العاق لا ينظر الله إليه، قال النبي ﷺ: (ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث) (١٢)، وفي رواية: (العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان).

- العقوق من الذنوب التي يعجل لصاحبها في الدنيا قبل الآخرة كما جاء عن رسول الله ﷺ: (اثان يعجل لصاحبها في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين) (١٣).

وفي النهاية على الأبناء أن يعوا خطورة العقوق في الدنيا والآخرة، وكذلك على الوالدين أن يقوموا بدورهما في تربية أولادهم والاهتمام بهم والجلوس معهم والاستماع لهم، فهم فلذات الأكباد تمشي على الأرض، وهم الكنز الثمين، وهم أغلى استثمار في حياة الإنسان.

الهوامش

- ١- متفق عليه.
- ٢- متفق عليه.
- ٣- رواه أبوداود.
- ٤- رواه مسلم.
- ٥- رواه مسلم.
- ٦- رواه الطبراني.
- ٧- رواه مسلم.
- ٨- متفق عليه.
- ٩- رواه البخاري.
- ١٠- رواه الترمذي.
- ١١- متفق عليه.
- ١٢- رواه النسائي وحسنه الشيخ الألباني.
- ١٣- رواه الطبراني وصححه الألباني.



أخلاق المعلم المؤثرة

بين المتعلمين والمعلم، وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

وعن عقبة بن مسلم قال: «صحب ابن عمر أربع وثلاثين شهرا، فكان كثيرا ما يسأل فيقول: لا أدري وإذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله».

ويجب أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد. ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش في الطين، والظل في العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟

التواضع

وعلى المعلم أن يكون متواضعا لمن يربيه، لأن تعاليه عليه يحدث هوة بينهما، وإذا ازدادت الهوة بينهما انعدم التأثير، ولنا في أخلاق المصطفى ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ وهو سيد البشرية أكثر الناس تواضعا، ومما قاله في فضل التواضع: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه».

إن المعلم والمدرس هو الذي تصدى للتدريس والإفادة بعد اكتمال أهليته، ويخاف الله، ولا يتعاطى على طلبته اقتداء بالنبي ﷺ الذي أمر بأن يخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين. لأن التواضع في مواقفه من شيم النفوس العظيمة والشريفة، وهو صفة محمودة لا يتحلى بها إلا ذووا العلم والأخلاق العالية.

يبث الرفق في نفوس أصحابه، وأن يكسيهم هذه الصفة السامية، لأنها ملاك الأخلاق، وأم الفضائل، وشارة الحلم، وعنوان العقل، والأحاديث التي تناولت هذه الصفة، ودعت إليها كثيرة، عرضها المعلم العظيم بصور وألفاظ عديدة وأمثلة حسية ومعنوية. وقد استوقفني هذا التأكيد والتكرار لهذه الخلة، وما ذاك إلا لعظم شأنها، وصلتها بحقيقة الإيمان، وحرصه ﷺ على أن يتحلى أصحابه بها. وكان يقول لعائشة -رضي الله عنها- عليك بالرفق.

البعد عن الغضب

إن الغضب جراح الشر، لأنه يحول بين المرء وبين حسن التصرف، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، وقال: لا تغضب».

ونظرا لما للغضب من سيطرة على تصرف الإنسان حيث يجمع به إلى التلفظ بمبتذل الكلام الذي يؤدي إلى قبيح الأفعال. فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

إن الغضب يؤدي بالإنسان إلى فقدان الترابط والانسجام والانتظام بين الألفاظ والمعاني فيقع التشويش على ترتيب هذه المعاني.

الصدق

إن الصدق طمأنينة للنفس، والكذب مصدر للخوف والريبة، ومدعاة للشك

للمعلم تأثيره المباشر على المتعلمين إذ يلتفون حوله للاستفادة منه، وهو قدوتهم، وناصحهم، ومربيهم، وموجههم، ومؤدبهم، وإنها منزلة عظيمة كريمة، ومسؤولية جسيمة. وهناك عدة مجالات يستطيع المعلم خلالها أن يسهم في بناء شخصية الطلاب، والتي من أبرزها ما يلي:

التقوى

قال الإمام الشافعي: زينة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس». وإذا كانت في المعلم صفة التقوى ففيه أعظم وأجمل صفة تحلى بها، فهي الصفة الأم، وهي الصفة التي تجلب جميع الصفات الحسنة؛ من تواضع وصدق وعدل ومساواة وإحسان إلى غيرها من الصفات الجميلة. إنها تجعل صاحبها يترك كل ما هو منهى عنه، وتجعله يقبل على كل ما هو مباح له.

الرحمة والرفق

وينبغي للمعلم أن يكون رحيما غير فظ ولا غليظ، متأسيا بأخلاق المصطفى ﷺ، الذي قال تعالى في وصفه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وينبغي أن يترفق بتلاميذه لأنه مطلب إسلامي، قال ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله».

وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه». لقد حرص الرسول الله ﷺ أن



لماذا شعبان؟

البخاري رواية: «كان يصوم شعبان كله» (١٩٧٠).

وروى الإمام أحمد، والنسائي من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «لم يكن (يعني النبي ﷺ) يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، فقال له: لم أرك تصوم من الشهر ما تصوم من شعبان. قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم».. (والإسناد جيد).

ومن هنا ينبهنا رسولنا الكريم، إلى فضل الصيام في شعبان، وقد أرشد أصحابه رضي الله عنهم، إلى عظمتهم حيث أشار إلى أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، رغم ما به من عظيم شأن، فهو مقدمة خير لشهر رمضان الكريم، وعلى الإنسان المسلم أن يجتهد فيه، بالالتزام بالطاعات والبعد عن المعاصي وبالسيئات، تمهيدا لاستقبال شهر رمضان المعظم، ولكي يتمكن المسلم من ترويض النفس وتأهيلها، للصوم في الشهر الكريم على الوجه الذي يرضي الله.

فضل شهر شعبان

نحن جميعا لابد أن ننتبه إلى فضل شهر شعبان، فهو بمثابة إنذار لنا

يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

وقد روى النسائي وأحمد، عن أسامة بن زيد «رضي الله عنهما» قال كان رسول الله ﷺ، يصوم الأيام حتى يقال لا يفطر، ويفطر الأيام حتى يكاد لا يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كانا في صيامه وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت يا رسول الله: إنك تصوم لا تكاد أن تفطر، وتفطر حتى تكاد أن تصوم إلا يومين، إن دخلا في صيامك، وإلا صمتهما؟ فقال: «أي يومين؟» فقلت: يوم الإثنين ويوم الخميس؟ فقال: ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. فقلت: ما أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ فقال: ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (صحيح النسائي).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان» (رواه البخاري، ومسلم. وفي

لم يأت دين بلغ ما بلغه الإسلام من حيث الشمول لكل معطيات الحياة، فالإسلام كالنبراس الذي أضاء للبشرية الكون، وأشاع نور اليقين للعالم، على مدار القرون الماضية، فلقد اهتم بكل صغيرة وكبيرة تخص الإنسان وتضمن له الحياة الصحية والطبيعية، حتى إنه لم يترك لمن آمن به سبلا للخير إلا وقد بينها، فنجد أكبر بيان على ذلك هو التنبيه والتحذير لكل قادم من خير أو شر، لكي يتضح له الطريق، والوسائل للتقرب إلى الله كثره، جعلت لكي يفتتم المسلم الفرصة، ليفوز بمرضاة الله عز وجل، وينجي نفسه من ثقل صحيفته، وفي القرآن وسنن نبينا رحمة بنا، فهما ما يرشدانا إلى خير ما في الدنيا.

لماذا شعبان

إن شهر شعبان له فضل عظيم، من حيث التدبر والاستعداد لشهر رمضان، فهو رمانة الميزان للأعمال قبل رفعها إلى رب العباد، حيث فيه ترفع الأعمال إلى الله، وكان من أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ. وقد جاء في صحيح النسائي أنه قد سئل النبي ﷺ عن سبب صومه يومي الإثنين والخميس فقال: ذلك

كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون. (صحيح البخاري).

قدر شهر شعبان

ومما ما رجح بعض العلماء قول النبي ﷺ، ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، كما ذكره النسائي من حديث أسامة بن زيد. رضي الله عنهما قال: لم يكن (يعني النبي ﷺ) يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، فقال له: لم أرك تصوم من الشهر ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (صحيح النسائي ٢٣٥٧٠). إشارة إلى أنه شهر يكتفاه شهران عظيمان، شهر حرام، وشهر صيام، وقد يشغل الناس بهما، فيصير مغفولا عنه، مما رجح بعض العلماء، إلى تفضيل صيام شهر شعبان، على الصيام في الأشهر الحرم، وعلى ذلك بقوله: إن أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان، قبله أو بعده، تكون منزلته من السنن الرواتب، مع الفرائض قبلها وبعدها، وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده، أفضل من صيام ما بعد عنه. والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام، وأشرف من اجتهد وقام، وعلى آله وصحبه الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

يومي الاثنين والخميس، لأنهما ترفع فيهما الأعمال، ولا تعارض بين رفع الأعمال في يومي الاثنين والخميس، ورفعها في شعبان، لأن عمل العام يرفع في شعبان، كما أخبر النبي ﷺ. ويذكر ابن القيم رحمه الله شرحا مفصلا: فإن عمل العام يرفع في شعبان كما أخبر به الصادق المصدوق، أنه ترفع فيه الأعمال فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم، ويعرض عمل الأسبوع يوم الإثنين والخميس، وعمل اليوم يرفع في آخره قبل الليل، وعمل الليل في آخره قبل النهار، فهذا الرفع في اليوم واللييلة أخص من الرفع العام، وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله، وطويت صحيفة العمل. وفائدة التقسيم السابق لرفع الأعمال أن نجتهد أكثر في هذه الأوقات ونملاها بالطاعات كي يرفع عملنا ونحن في صيام أو ذكر أو استغفار. وقد سئل النبي ﷺ عن سبب صومه يومي الإثنين والخميس فقال: ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم (صحيح النسائي). فاجتهاد النبي ﷺ لم يقتصر على صوم شعبان فحسب؛ بل كان يصوم الإثنين والخميس، وكذلك كان يرغب بأذكار الصباح والمساء ويحث على صلاتي العصر والفجر حيث تجتمع الملائكة قبل الصعود بأعمال العباد. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم- بهم

بقدوم شهر رمضان الكريم، بما فيه من فضل عظيم. فهو يعتبر بمثابة دورة تدريبية لاستقبال شهر رمضان الكريم. وقد ذكر في مواضع كثيرة إن النبي عليه الصلاة والسلام، كان حريصا على الطاعة والعبادة في شهر شعبان، وكان يخصصه بمزيد من الأعمال الصالحة، وقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم، النبي ﷺ، عن سبب تخصيصه هذا الشهر بمزيد من الأعمال والعبادات فقال: ذلك شهر وهو شهر ترفع الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (صحيح النسائي). ومن فضائل شهر شعبان، التي قد لا يعرفها البعض، أن رسول الله ﷺ، يخصصه بمزيد من الصيام، ما لا يخص غيره من الشهور، عدا شهر رمضان، وذلك لقول عائشة رضي الله عنها كما سبق: ما رأيت رسول الله ﷺ، استكمل صيام شهر قط، إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان. وقد رجح العلماء أن النبي ﷺ، ما صام شهرا كاملا إلا رمضان، وهو ما بينه حرص النبي ﷺ على الصيام فيه؛ ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله..» (متفق عليه واللفظ للبخاري). ومن استحياء النبي من الله عز وجل، أنه كان يحرص على الصيام وقت رفع الأعمال، لذلك كان يواظب على صيام



سور تحيطه الحكمة

عن الأمان من زيغ اللسان، والهيبة من غير سلطان، والحلية بدون ذهب ولمعان، والعبادة التي ترضي الرحمن، وتطرد الرجيم الشيطان.

عن روضة الفكر، وموطن السلامة، وداعي المحبة، ولغة العظمة، وزينة الحكمة، وجوهر البلاغة، وأجود إجابة.

عن دواء الغضب، وجملة الأدب، وكما قيل: إذا كان الكلام من فضة؛ فإن السكوت من ذهب..

إنه الصمت..

وهو الإمساك عن الكلام مع القدرة عليه. قال الكفوي: «الصمت: إمساك عن قوله الباطل دون الحق»^(١).

الصمت: ليس غياباً للصوت، بل حضوراً للمعنى، وهو نوع من التواصل لا يحوي حروفاً ولا أصواتاً، ولكنك تتكلم بصوت غير مسموع يصل إلى الجميع بوضوح ونقاء، فبين الصمت والصوت حرف واحد فقط..

الصمت أخو الإنجاز، وأبو الإبداع، وابن الإرادة، وأستاذ الهيبة، ومعلم الرزانة، وصديق الدقة، ورفيق الفلسفة، وهو بعد ذلك حكمة ومنحة^(٢).

لقد كان الصمت مشروعاً فيمن قبلنا؛

الكلام، ومن هنا تتجلى حكمة الله البالغة في خلقه؛ حيث جعل للإنسان أذنين ولساناً؛ ليسمع أكثر مما يتكلم، لكن البعض -وللأسف- أصبح في غنى عن أذنيه لكثرة كلامه وثرثرته..

ومن الأهمية بمكان تلك الدراسة التي أجريت حول الآفة سائلة الذكر، حيث كانت النتيجة صادمة لي ولا أشك أنها ستكون كذلك بالنسبة لك أخي القارئ الكريم، فقد خلصت الدراسة إلى أن أكثر الأمم كلاماً هم العرب، حيث تصل كلمات الرجل يومياً إلى نحو أحد عشر ألف كلمة، وتزيد المرأة عليه بنحو ستة آلاف كلمة يومياً، تخيل ذلك الكم الهائل من الكلمات، وليت جزءاً ضئيلاً من تلك الكلمات كان فيما ينفع ويستفاد منه..

من هنا أحببت أن أسهم في ذكر العلاج الناجع، لتلك الآفة، حيث سأسلط الضوء في شأيا السطور القادمة في الحديث عن: آية الحلم، وزينة العلم، وعنوان الفهم..

يقضي الإنسان سنوات عمره الأولى في تعلم الكلام، فيبدأ من الوهلة الأولى في نطق الحروف ثم تركيب الكلمات والجمل، وتحيطه هالة وفرحة عارمة من الأهل والأقارب.. وما هي إلا فترة وجيزة وإذا بلسانه قد انطلق من عقاله، وأصبح من الصعب السيطرة عليه وإلجأه، وصار مهذاراً يهرف بما لا يعرف، قد أصيب بآفة الثرثرة وكثرة

فذكر يا ﷺ أمر ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا، ولما رجعت مريم البتول إلى قومها قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: ٢٦).

وجاءت الشريعة الغراء ونسخت ذلك؛ فأباححت من الكلام ما كان لفائدة وحاجة، مع بقاء الصمت هو الأصل، وجعلت مواطن يكون الصمت فيها محمودا، وأخرى يكون فيها مذموما، وحثت على طول الصمت إلا من خير، ففي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (متفق عليه)، «لأن الصمت والسلامة لا يعدلها شيء، فأنت إذا تكلمت إما لك وإما عليك»^(٣)، فالتزام الصمت مطلقا واعتقاده قرينة إلى الله تعالى غير صحيح، حيث جاء النهي عن الصمت إلى الليل، لما فيه من تعطيل عن الذكر ونحوه، ويورد ابن القيم كلاما بديعا عن الصمت والثرثرة في كتابه (الداء والدواء) فيقول: «وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثما من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مرء مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه

قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به».

الصمت المحمود

فأما الصمت المحمود فيكون عن كل ما حرم الله ونهى عنه مثل: الغيبة والنميمة والبذاءة والسخرية ونحوها، والكلام المباح الذي يؤدي إلى الباطل، أو يجر إلى شيء من ذلك.

ويحمد الصمت عند ثورة الغضب، فعندما يستفزك شخص ويريد إثارة غضبك، إياك أن تتصاع له، بل تحلى بالصمت لثوان معدودة فقط، وغير من هيئتك؛ فإن كنت واقفا فاجلس، وإن كنت جالسا فاضطجع، فإن فعلت ذلك فقد أطفأت النار بالماء، وأسلمت أعصابك من التلف، وتجاوزت الكثير من المشاكل.

ومما يحمد الصمت: عندما يتحدث غيرك، خصوصا إن كان أكبر منك سنا، وأعلى منك منزلة، فإنصت هنا دليل على سمو تربيتك، وقوة شخصيتك، فقد أتى عتبة بن ربيعة إلى رسولنا الكريم ﷺ موفدا من قريش، فتحدث بحديث طويل وعرض سفارته حتى فرغ، والنبي ﷺ يستمع له، ثم قال له بأدب جم: «أقد فرغت يا أبا الوليد»، قال: نعم، قال: «فاسمع مني»؛ قال: افعل، فقرأ عليه صدر سورة فصلت، فأحدث ذلك الأدب وحسن الإنصات تغيرا كبيرا عند عتبة، حتى قالت قريش: نلحظ بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به^(٤).

وإنني لأعجب ممن فقدوا مقدارا كبيرا من الذوق واللياقة، وابتلوا بمقاطعة كل متحدث، وألقوا السم في كل حوار هادف، وأرادوا إظهار أنفسهم وشد الانتباه إليهم، فيما فيه شينهم والقبح

في أخلاقهم.

ومن المواطن التي يحمد فيها الصمت عند الحلف بغير الله، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت». وإذا سئل الإنسان عن أمر ليس لديه إجابة أو يشك فيها؛ فصمته هنا يكون ورعا، ونجاة من الفتيا بغير علم.

ويحمد الصمت عن الأسرار والأعمال التي تخصك، فسرك أسيرك، فإذا نطقت به صرت أسيره، وأي عمل في أبواب الخير تقوم به فإكتمه ولا تذهه، حتى تسلم من الرياء والعجب، وكن كمن يمشي على الرمل يترك أثرا ولا يسمع له صوتا، واستعن على قضاء حوائجك بالكتمان، فرب أمر أخبرت به غيرك، فسبقك إليه، أو حسدك عليه، فتكدرت على فواته وعدم تحصيله، بسبب فلتات لسانك.

ومما يحمد الصمت حين يتجرأ السفیه عليك بقبيح القول، فترفعك عنه وعن مجاراته هو عين العقل، وتمام الحكمة، وتكون بذلك قد ألقمته حجرا، وجعلته يموت غيظا وكمدا، ولله در الشافعي إذ يقول:

إذا نطق السفیه فلا تجبه

فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه

وإن خليته كمدا يموت

وعن ظهور الفتن واندلاعها هنا يجب الصمت، لوصية النبي ﷺ: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»^(٥)، لأن في السكوت إماتة للباطل، وإطفاء لنار الفتنة.

ولقد جعلت الشريعة الصمت علامة على قبول البكر للنكاح، وقرار الارتباط بشريك الحياة، ففي الحديث عند مسلم: «الطيب أحق بنفسها من وليها،



والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها».

إن ثرثرة الإنسان مرآة أفكاره، والمرء مخبوء تحت لسانه، ولا ريب أن كثرة الكلام توقع بالخطأ لا محالة، فمن كثرة كلامه كثرت سقطته، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، وطالت على عرصات القيامة وقفته..

قال بعض السلف: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من الله وما والاه، وكان الصديق عليه السلام يمسك على لسانه ويقول: (هذا أوردني الموارد)، والكلام أسيرك، فإذا خرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق: ١٨)»^(٦).

إن الإنسان لا يعاب على قبح شكله، ودماثة خلقته، ولا يعاب على فقره، أو صنعته، وإنما يعاب على قبيح ألفاظه، وكثرة كلامه، فقد سئل رجل من بني تميم فقيل له: بما سادكم الأحنف وقد كان قصير القامة، ملتوي الساقين، وليس بأكبر القوم سنا، ولا أكثرهم مالا - قال: بقوة سلطانه على لسانه.

الصمت المذموم

وأما الصمت المذموم فيكون في المواطن

التي يتطلب الكلام فيها: كالأماكن التي يرى فيها المنكرات، والمجالس التي تقوم على الغيبة، والتحدث بأعراض المسلمين، ونحوها. قال ابن تيمية: «والصمت عما يجب من الكلام حرام سواء اتخذه ديناً أو لم يتخذه».

ويحرم كتمان العلم، فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، يقول الإمام علي عليه السلام: «لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل».

الصمت عن مطلق الخير والبر، كذكر الله وقراءة القرآن والحديث، والتفقه في الدين، وقول الحق، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقس على ذلك.

ويذم الصمت عند سماع اسم رسول الله ﷺ وعدم الصلاة عليه، فقد وصف الصامت في هذا الموطن بالبخل، وكفى به قدحاً وتوبيخاً..

ومن المواطن التي يذم فيها الصمت: سكوت أهل الحق عن حقهم، حتى توهم أهل الباطل أنهم على حق، فالساكت عن الحق شيطان أخرص.

إن الصمت متجر رابح لا كساد فيه، وهو تسعة أعشار الحكمة، لذا تحلى

به الأنبياء، فقد كان نبينا ﷺ طويل الصمت، صمته تفكر، لا ينطق إلا في حاجة، وقد أعطي جوامع الكلم، فكان إذا تحدث بحديث لو عده العاد لأحصاه.

ولقد جاء التحذير النبوي بنبرة رهيبة عن صنف من البشر من أمته، هم شرارها، وأسوأها خلقاً، وأبعدها يوم القيامة من النبي ﷺ مجلساً، وهم: «الثرثارون والمتشدقون»، وهذا يدلنا على خطورة الإسهاب في الكلام، وبيان فضل الصمت في الدارين، إذ به تمام العقل، وصلاح الحال؛ فصاحبه مصان الجانب، خفيف الحمل، قد أحسن والله لنفسه، فأحبه الله وأحبه خلقه.

فوائد الصمت

ولما كان الصمت بهذه الأهمية العظيمة والمكانة السامية كانت فضائله جمة لا تحصى، فقد أفرد ابن أبي الدنيا له كتاباً سماه: (الصمت)، وأورد فيه جملة من المحاسن والفوائد، وحري بمن رغب بمعرفة المزيد أن يقتني هذا الكتاب ويقراه بتمعن حتى يهبه الله القول السديد والعمل الصالح الرشيد. الصمت مصدر قوة للإنسان، وسبب

من أسباب دخول الجنان، ودليل على كمال الإيمان، به تستر العيوب، ويكسب التوقير والاحترام في القلوب، ويجعل المرء لآخرته في عمل دؤوب.

هو زينة العالم وستر الجاهل، وسلامة الدين، ولو أن عبدا اختار لنفسه ما اختار أفضل من الصمت.

ولعل من فوائده أنه يطفئ الغضب العارم، ويقتل المشاكل الأسرية في مهدها قبل أن تثور، فالمرأة لها سلاح فتاك يكمن في لسانها، لذلك تكثر الثرثرة عند النساء، وقد جاء في معرض الحديث عن المرأة: «... وإن أعوج ما في الضلع أعلاه»، قال الشوكاني في نيل الأوطار: «يحتمل أن يكون ذلك مثلاً لأعلى المرأة، لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها، وهو الذي ينشأ منه الاعوجاج». وقد قيل: من عقل لسانه، حفظ رأسه.

إن من أشد أنواع العقوبات في الدنيا أن يمسك الله لسان عبده عن ذكره وشكره، ويطلقها العبد في القيل والقال، وكثرة السؤال، والتحدث في أعراض المسلمين يمنة وشمال، فمن ابتلي بكثرة الكلام، أصيب بالعي في موطن يحسن الكلام فيه.

ولو لم يكن من فوائد الصمت إلا أنه نجاة لصاحبه لكفى، لقوله ﷺ: «من صمت نجا». إن من لزمه غم وقته، وأطلق العنان لفكره، وسمت به نفسه، ورق قلبه، وعظمت في عينيه خطيئته.. ولا تكاد تخرج منه الكلمة إلا بعد تمحيص وتفكير في عواقبها.

كيف نتعلم الصمت؟

إن الصمت فن يتعلم ويتدرب عليه، فهو أشبه ما يكون بسور شامخ يحتاج عند تشييده إلى خطة ورغبة ومجاهدة ومهارة واتزان، فإنك إذا أقمت ذلك

السور في قلبك تكون قد ملكت زمام أمرك، وأرحت نفسك، فقد جاء في الأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام»، ولقد أثر عن بعض السلف أنه مكث عشر سنين يجاهد نفسه على الصمت، حتى كان يضع في فمه حصاة لا ينزعها إلا عند أكله أو شربه أو نومه، وكان بعضهم يحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة، ومن الوسائل المعينة على اكتساب الصمت:

رقابة الله تعالى في كل كلمة، فهي مدونة لدى الكرام الكتبة، ومعرفة خطر اللسان، والتأمل في فضل الصمت وثمراته، النظر في سير السلف وحسن الاقتداء بهم، والنظر في العاقبة الوخيمة للكلام والثرثرة، واجتناب مواطن اللغط والغيبة والنميمة ونحوها.

الصمت من أهم وسائل التربية

ولعل من أنفع الوسائل التربوية لنبوغ الأبناء؛ تعويدهم على الاستماع أكثر من الكلام؛ فالاستماع الجيد يجعلهم أكثر تركيزاً وإبداعاً وتألقاً، وفيه أيضاً الفهم لمن يحيط بهم، حيث أن استماعهم بصمت يعني أنهم امتلكوا مفاتيح شخصيات من حولهم.

ولا شك أن الأبناء يتربون بالقذوة الماثلة أمامهم، هب أنك التزمت الصمت لمدة أسبوع أو شهر فحسب، فجعلت الذكر ديدنك، والتفكر في نعم الله شعارك، والكلام النافع المفيد دثارك، أخبرني ما الذي جنيت؟! لن أبالغ إن قلت إنك قد اتخذت قرارات أكثر صواباً في حياتك، وكفيت مؤنة الاعتذار لغيرك، وحافظت على برودة أعصابك، وقللت من خصومك، وأكثرت من أحبابك، واستثمرت معظم وقتك، وعالجت

الكثير من مشكلاتك، وأعدت ترتيب أولويات حياتك، هذا ما يفعله الصمت، فالزمه تلزمك السلامة.

همسة ختامية

وبالجملة؛ فإن اللسان أحوج ما يكون إلى طول سجن حتى يستقيم ولا ينطق إلا خيراً، فهو أشبه ما يكون بسبع جائع وثعبان حشي فمه سما، إذا انطلق أضر وأفسد، فرب مصرع إنسان من اللسان..

إن كثرة الكلام مما يقسي القلب، ويورث الندم؛ فالكلمة إذا خرجت من فمك فلن تعود، فانصف أذنك من فيك، وثق أن الفم المغلق لا يعادي أحداً البتة.

يا لروعة الصمت، من لزمه نال الظفر والراحة، وتكلم بتاج الوقار والهيبة، وتدثر بدثار العزة والكرامة، ولئن يموت المرء صامتاً، خير له من أن يموت ثرثاراً مهذاراً

متبداء الصمت خير لك من داء الكلام

إنما السالم من أجم فاه بلجام

المصادر والمراجع

- ١- الكليات، للكفوي، (٥٠٧).
- ٢- لغة الصمت، د. هشام القاضي، بودكاست ألسن.
- ٣- المسالك في شرح موطأ مالك (٥٧٨ / ٧).
- ٤- السيرة النبوية، لابن هشام، (٢٩٤ / ١).
- ٥- حديث حسن، سنن الترمذي، رقم (٢٤٠٦)، (١٨٣ / ٤).
- ٦- الداء والدواء، لابن القيم، (ص: ١٦١).
- ٧- نضرة النعيم، لمجموعة من الباحثين (٢٦٤٤ / ٧).
- ٨- إحياء علوم الدين، للغزالي (٣ / ١١١).



سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٦)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (البكري) -القسم الثاني-

١٠- زين الدين البكري (ت: ١٠٢٨هـ):

هو زين الدين محمد بن محمد أبي السرور البكري الصديقي المصري، مؤرخ. ولد بالقاهرة، من مصنفاته: (المنح الرحمانية في الدولة العثمانية)، و(فيض المنان بذكر دولة آل عثمان) وصل فيه

إلى ولاية مصطفى باشا بمصر، سنة: (١٠٢٧هـ)، توفي بالقاهرة^(١).

١١- أحمد البكري (ت: ١٠٤٨هـ):

هو أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري الشافعي، أديب، شاعر، من فضلاء الشافعية بمصر، أقرأ بالجامع الأزهر. من أبرز مصنفاته: (روضة المشتاق وبهجة

العشاق)، و(حسن الوصف في تفسير سورة الصف)، و(ديوان شعر) أكثر ما فيه ألباز، و(رشف الزلال عن تبسم ثغر السؤال) تراجم، و(الكوكب الوهاج في هداية الحاج) منظومة في رحلته إلى الحج، و(لسان المحبة)، و(زهرة البستان)، و(فتق الرتق لإظهار الحق)، و(فيض الفياض) مواعظ، و(هاتفة التكريم في أسرار

الجحيم)، و(لسان الحقيقة والمجاز)، و(إقامة الشواهد)^(٢).

١٢- أبو المواهب البكري (ت: ١٠٥٣هـ):

هو أبو المواهب عبد الله بن محمد بن محمد البكري الصديقي الأشعري القرشي، فاضل، صوفي.

من أبرز مصنفاته: (تحفة الناظرين في حوادث عن اثنين وخمسين)، و(الذكر الجلي في مراتب حال ولي من ولي)، و(شكر الإنعام من المالك العلام)، و(الفتوحات الرحمانية من الحضرة القدسية الصمدانية)، و(الأجر الجزيل لمن مات أو قتل في السبيل)، و(سلسال البحر مما اكتسب من فيوضات مجرى النهر)، و(التحفة الجليلة في اسم العبودية)^(٣).

١٣- ابن أبي السرور البكري (ت: ١٠٦٠هـ أو ١٠٨٧هـ):

هو محمد بن زين العابدين محمد أبي السرور بن محمد البكري الصديقي، المعروف بابن أبي السرور، مؤرخ مفسر باحث، مصري، انتهت إليه رئاسة بيت البكري بمصر.

ولد في القاهرة سنة: (١٠٠٥هـ).

من أبرز مصنفاته: (النور المبين في توضيح ما في إحياء علوم الدين)، و(الدرة العصماء في طبقات الفقهاء)، و(الروضة الندية في طبقات الصوفية)، و(عين اليقين في تاريخ المؤلفين)، و(الدرر في الأخبار والسير)، و(الروضة الزهية في ولاية مصر القاهرة المعزية)، و(عيون الأخبار ونزهة الأبصار) تاريخ، و(قطف الأزهار من الخطوط والآثار) اختصر به خطط المقرئ، و(تفسير كبير) يعرف بتفسير ابن أبي السرور، و(فيض الجنان بذكر دولة آل عثمان)، و(القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب)، توفي بالقاهرة^(٤).

١٤- قطب الدين البكري (ت: ١١٦٢هـ):

هو قطب الدين أبو المواهب مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي

الحنفي، القادري، متصوف، من العلماء، كثير التصانيف والرحلات والنظم.

ولد في دمشق سنة: (١٠٩٩هـ)، ورحل إلى القدس وحلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز.

من أبرز مصنفاته: (السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والالحاد)، و(الذخيرة الماحية للأثام في الصلاة على خير الأنعام)، و(المورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود)، و(الصلاة الهامة في فضائل الخلفاء الأربعة)، و(الفتح القدسي والكشف الأنسي) أدعية، و(بلغة المريد) أرجوزة في التصوف، و(أرجوزة في الشمائل)، و(التواصي بالصبر والحق) تصوف، و(شرح القصيدة المنفرجة)، و(فوائد الفرائد) منظومة في العقائد، و(اللمحات) في صلوات ابن مشيش، و(منظومة الاستغفار) مع شرح لها، و(المهل العذب السائغ)، وتوفي بالقاهرة^(٥).

١٥- كمال الدين البكري (ت: ١١٩٦هـ):

هو كمال الدين أبو الفتوح محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحنفي، أديب، من فقهاء الحنفية بفلسطين.

ولد ببيت المقدس سنة: (١١٤٣هـ).

وله نظم وتصانيف، من أبرزها: (خلاصة تحقيق الظنون في الشروح والمتون) جرد فيه كشف الظنون من المكررات واستدرك عليه زيادات، و(الروض الرائض في علم الفرائض)، و(تشنيف السمع في تفضيل البصر على السمع)، و(المنح الإلهية في مدح خير البرية) شرح بديعية له، و(نبراس الأفكار) وهو ديوان شعره، و(الكلمات البكرية في حل معاني الأجرومية) في النحو، وتوفي بغزة^(٦).

١٦- أبو بكر البكري (ت: ١٣٠٢هـ أو ١٣١٠هـ):

هو أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمايط الشافعي البكري، فقيه متصوف، نزيل بمكة.

من أبرز مصنفاته: (إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين)، و(الدرر البهية) فما يلزم المكلف من العلوم الشرعية، و(هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) ن والقول المبرم في أن منع الأصول والفروع من إرثهم محرم) في المواريث، و(كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء) في التصوف، و(نفحة الرحمن في مناقب السيد أحمد زيني دحلان)^(٧).

١٧- محمد توفيق البكري (ت: ١٣٥١هـ):

هو محمد توفيق بن علي بن محمد البكري الصديقي، شاعر، وأديب مترسل، من أعيان مصر.

ولد بالقاهرة سنة: (١٢٨٧هـ)، تولى نقابة الإشراف ومشايخ المشايخ وعين عضواً دائماً في مجلس الشورى والجمعية العمومية، وكان يجيد الفرنسية والتركية والإنجليزية.

من مصنفاته: (أراجيز العرب)، و(تراجم بعض رجال الصوفية)، و(بيت الصديق)، و(بيت السادات الوفاة)، و(المستقبل للإسلام)، و(التعليم والإرشاد)، و(فحول البلاغة)، و(صهاريج اللؤلؤ)، توفي بالقاهرة^(٨).

الهوامش

- ١- انظر: إيضاح المكنون (٢١٦/٢) والأعلام للزركلي (٦٢/٧) ومعجم المؤلفين (٢٩٠/١١).
- ٢- انظر: خلاصة الأثر (٢٠١/١) وهدية العارفين (١٥٩/١) والأعلام للزركلي (١٢٩/١) ومعجم المؤلفين (٢٢٩/١).
- ٣- انظر: الأعلام للزركلي (١٢٩/٤) ومعجم المؤلفين (١٤٠/٦).
- ٤- انظر: هدية العارفين (٢٩٩/٢) والأعلام للزركلي (٦٤/٧) ومعجم المؤلفين (٢٩٣/١١).
- ٥- انظر: هدية العارفين (٤٤٦/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٩/٧) ومعجم المؤلفين (٢٧١/١٢).
- ٦- انظر: هدية العارفين (٣٤٢/٢) والأعلام للزركلي (١٠٠/٧) ومعجم المؤلفين (٣٢/١٢).
- ٧- انظر: هدية العارفين (٢٤١/١) والأعلام للزركلي (٢١٤/٤) ومعجم المؤلفين (٧٣/٣) (٢٧٠/٦).
- ٨- انظر: الأعلام للزركلي (٦٦/٦) ومعجم المؤلفين (١٤١/٩).



داعية الشام وطبيبه

الدكتور حسن هويدي

وحب العلم.. والده كان شيخا معروفا لدى أهل بلدته بالتزامه الدين ومجالس الذكر والعلم في المساجد، وله بالغ الأثر في مسيرته وفي تعليم القرآن لجيل واسع من أهل الدير.

■ طبيعة الدير نفسها ذات الطابع العشائري المحافظ، وحياة أهلها القائمة على الفطرة، فلا فجور ظاهر، ولا دور لهو واضحة، مع خلو الشارع من أي اختلال ينسب إلى السفور أو التبرج.. شكلتا التكوين الأولي لهويدي الذي تربى على مائدة القرآن وحب السنة والتعلق بالذكر.

■ منذ طفولته تعلق بالعلم الشرعي، وأخذ معظم علومه في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والأصول في وقت مبكر من علماء بلده أمثال: الشيخ حسين رمضان الخالدي والشيخ سعيد المفتي والشيخ جعفر الرحبي، الذين كان يختلف إليهم، ويرافقهم، ويجالسهم، ويحضر حلقاتهم، ويراجعهم ويفيد منهم.. مع مواصلة التحصيل بجهود ذاتية عن طريق مطالعة أمهات الكتب في مختلف الميادين ضمن رفقة صالحة من أقرانه، أمثال: الشيخ أحمد السراج والشيخ عبدالرزاق الخالدي والشيخ د. خليل ملا خاطر وأمين الشاكر.. وغيرهم.

■ حصل على شهادة الثانوية العلمية، ثم انتسب إلى كلية الطب في جامعة

الدعوة مهاجرا بها حاملا لها على غير عادة من في مثل سنه، يطوف من اليمن إلى الإمارات والكويت ومن لندن إلى إسطنبول والسودان.. وحركته لم تتوقف حتى وفاته.

■ من رعييل سورية الأول، نشرا للعلم الشرعي، وبثا لأنوار الدعوة.. ومن باب «المرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه» دلف إلى أرضها يغرز فسائل بقي بها أمته رياح تغريبها، يحشد الجهود المتفرقة من أجل غد أفضل للمسلمين، ويوظف الطاقات الحيوية الفاعلة بطريقة منظمة، وبأسلوب جماعي، حتى تخرج الثمرة طيبة ومؤثرة ومجدية.

■ عرفه السوريون طبيا بارعا، وعالما محققا، وفقهيا ثبّتا، واسع الاطلاع، حجة بالعلوم الشرعية، وعلى دراية واسعة بتفسير القرآن، صاحب ثقافة ثرة جمعت بين الطب والفقه إضافة إلى استيعاب «فقه الواقع» و«فقه الدعوة» ومعرفة العلل والأدواء، والتيارات المناوئة، وطبيعة المعركة، وحقيقة الأزمة التي تمر بها الأمة.. إنه الفقيه الطبيب حسين هويدي.

المولد والنشأة

■ من دير الزور (عروس نهر الفرات)، ففيها ولد مطلع عام ١٩٢٥م، في كنف بيت إسلامي طيب طابعه التدين والالتزام والمحافظة على الفضيلة

■ رمز للداعية المؤثر، وأنموذج قدوة للمربي الناجح، ومثال للقائد الذي جمع الله عليه القلوب.. تجده مع الجميع هينا لينا.. إلا إذا رأى أمرا لا يحتمل وجهة نظر أو اجتهدا آخر، والمخالفة فيه صريحة، فإنه لا يهادن فيه ولا يدهن، لكن يظل منضبطا بالشرع، متجنبيا التجريح، محذرا من الفتنة، نابذا الشقاق، حاثا على الألفة والأخوة والمحبة، مطالبًا بالصبر وحبس النفس عن الخطأ.

■ يلتزم «أدب الخلاف» ويتجنب الإثارة، ويعتمد منهج «ما بال أقوام»، فلا تسمع أو تقرأ له -وهو يناقش قضية غير مؤمن بها، أو ينتقد فكرة معينة يرى عدم صوابيتها- كلمة نابية، أو لفظا لا يليق، بل ينتقي كلماته بدقة ليصل إلى الفكرة التي يريد بالطف الجمل، وأجمل العبارات.

■ عند التشاور كثيرا ما تراه يميل إلى هذا القول أو يأنس إلى ذاك الرأي، لكن بلا تعصب، ودون انغلاق، وتجده في نهاية المشاورة: يسجل موقفه ورأيه.. لكن يعلن التزامه بما ذهب إليه الأكثرية وتطبيقه له.

■ على الرغم من تخطيه الثمانين، فإن نشاطه أو سعيه في سبيل نصرة الإسلام لم يهدأ، وحركته في الدعوة إلى الله ناء بتحملها شباب، فقد ظل دائم الأسفار متعهد الترحال ناشرا

دمشق، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الطب بتقدير «جيد» عام ١٩٥٢م، وكانت رسالته لنيل شهادة الدكتوراه عن: «فرط نشاط الغدة الدرقية»، ثم حصل على شهادة التخصص في الأمراض الباطنة من كلية الطب في جامعة دمشق.

■ خلال سنوات الدراسة في دمشق لازم كبار العلماء فيها ونهل من علومهم. وأكثر من ملازمة الشيخ مصطفى السباعي الذي تأثر به كثيرا وأصبحت علاقته به كبيرة جدا.

حياة عملية دعوية

■ بعد تخرجه عاد إلى دير الزور ليفتح عيادته ممارسا لمهنة الطب، فكان يوزع أوقاته بين العيادة والعمل الدعوي، الذي أصبح يستغرق أكثر وقته حتى غلب مهنته فتفرغ له تفرغا كاملا.

■ عاش حياته مناضلا، وانتشرت إسهاماته الفكرية والتربوية، إذ كانت قدرته هائلة على استيعاب المسائل وتحدي العقبات، وحركته دؤوبة من أجل الدعوة الإسلامية التي جعلها همه الأول والأساسي؛ تسير في دمه وروحه، عاش لها ومات من أجل رفع رايته.

■ عين عضوا بالمجلس الأوروبي للإفتاء، وكان فاعلا في قضايا إسلامية مهمة كثيرة، وله دور رائد على مستوى سورية، وعلى المستوى العربي والإسلامي والدولي، وشارك ضمن وفود عدة للتدخل في إنهاء نزاعات داخلية في عدد من الدول الإسلامية.

.. عن هويدي

■ مجلسه، طال أو قصر، لا يخلو من تأصيل شرعي، أو بيان لمسألة وكيف يكون الانضباط فيها بشرع الله.. والأصالة عنده أهم من الحداثة مع

أنه يفقه عصره ولا يعيش في الماضي والتاريخ وحده.. حريص على المرجعية الشرعية في جميع ما يقول ويعمل.

■ ستة وستون عاما وهو يسير على طريق الدعوة، لم يلب فيه، ولم ينش، أو يتراجع.. حتى في سني عمره الأخيرة تجده مسافرا من بلد إلى آخر حاملا هم الدعوة، ومستقبل الأمة، مندفعاً للعمل الإسلامي، يحاضر ويوجه ويعلم إلى آخر ليلة من حياته.

وصيته

■ جعل لقاء الله نصب عينيه، وحرص في سعيه في الدنيا على ألا يغفل عن هذا المصير؛ ولذا فقد عاش بين الناس ووصيته الشرعية مكتوبة عنده ممثلا إلى قول الرسول ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» (رواه الشيخان).

■ المتأمل في وصيته يجد جمال سبكها، وإشراق عبارتها، وقوة بيانها، وحرصها على اتباع السنة، ودقة ألفاظها (ولا أذكر أن لأحد علي دينا حتى كتابة هذه الوصية)، وسعة فقهها وتشديده على ضرورة الالتزام بهذا الفقه.

عادة أسبوعية

■ كانت له جلسة أسبوعية يجلس فيها للترويج مع إخوانه يتلون كتاب الله ويتدارسونهم، ثم تكون لهم دروس في العقيدة أو التزكية أو التاريخ.. وفي ليلة وفاته تحدث حديثا رقيقا خاشعا عن الموت وقرأ من «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي.

هويدي كاتباً

■ امتلك الدكتور حسن هويدي قلما بليغا رائعا، وأيضا اشتغل على نفسه فامتلك ثقافة عامة قوية، وعلم شرعي

راسخ، وموهبة أدبية واضحة، وتمكن من اللغة العربية التي كان من متذوقيها.. ومن مؤلفاته: «الوجود الحق» و«من نفحات الهدى» و«محاذير الاختلاط» و«الشورى في الإسلام» و«مفاهيم في ضوء العلم»، إضافة إلى مقالات كتبها هنا وهناك، ومنها مقالاته الشهيرة في مجلة «حضارة الإسلام»، وبيانات كتبها في مناسبات متفرقة.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ الدكتور حسن هويدي خمس مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «جمال الإسلام، ع: ٣»، و«نفخ الروح غير تكاثر الخلية، ع: ٦٤»، و«بين الشريعة والطب، ع: ٦٨»، و«نقل الدم لا يحرم، ع: ٧٣»، و«دور الإسلام في العصر الحديث، ع: ١١٨».

وفاته

■ بعد جهاد في خدمة الدين والدعوة إليه استمر أكثر من ٦٠ عاما، وعن عمر ناهز ٨٤ عاما، وبعدما أدى رسالته على أحسن ما يكون الأداء، لقي الدكتور هويدي ربه على أحسن ما يكون اللقاء، بعد أدائه صلاة فجر الجمعة ١٢ مارس ٢٠٠٩م، وهو جالس في محرابه يذكر الله، في مهجره في مدينة عمان في الأردن، ووري جثمانه الثرى في مقبرة سحاب قرب العاصمة بعدما صلي عليه في مسجد الجامعة الأردنية.

المصادر

■ كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».

■ رابطته أدباء الشام.

■ رابطته العلماء السوريين.

■ مقال للدكتور عامر حسين أبو سلامة (إنترنت).

■ الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي



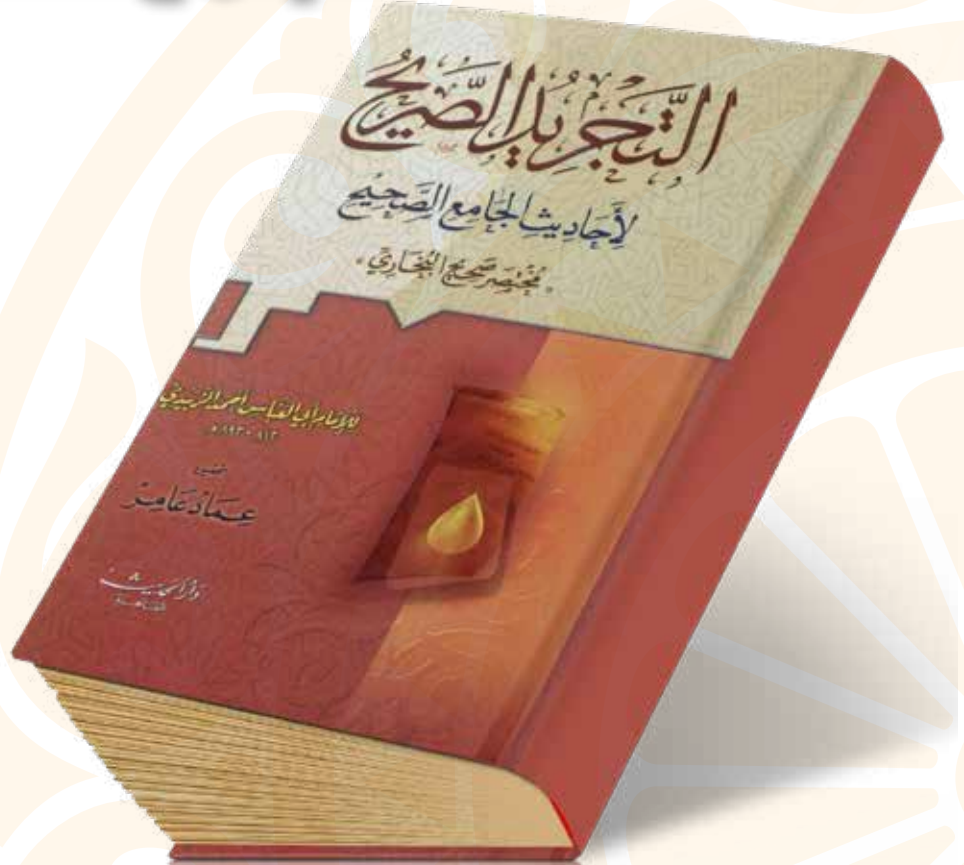
كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح

ويأتي كتاب: «كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ويعرف أيضا باسم: (مختصر صحيح البخاري)، و(مختصر الزبيدي)، هو كتاب مختصر لصحيح البخاري، حيث تضمن كتاب التجريد الصريح في أوفى طبعاته (٢٢٥٤) حديثا. ألفه: زين الدين أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي: (٨١٢هـ/٨٩٣هـ)، الموافق: (١٤١٠م/١٤٨٨م). وقد فرغ المؤلف من تجريده في يوم: (الأربعاء ٢٤ شعبان، سنة: ٨٨٩هـ)، أي قبل وفاة المؤلف بأربع سنوات. فأصل هذا الكتاب هو صحيح البخاري الذي يحوي: (٩٠٨٢) رواية)، وله مكانة عظيمة عند المسلمين، إذ يعد أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

وقد أثى أكثر علماء الإسلام على كتاب: (التجريد الصريح) على أنه من أفضل مختصرات البخاري، وأنهم وجدوا بغيتهم فيه. وللكتاب مخطوطات كثيرة في تركيا ومصر والهند والقدس واليمن والسعودية، وطبع طبعات كثيرة كانت أوائلها في سنة (١٢٨٧هـ).



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

كما إن للكتاب شرحين مطبوعين: الأول: لشيخ الأزهر عبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت: ١٢٢٧هـ)، بعنوان: «فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي». والثاني: للصديق حسن خان (ت: ١٣٠٧هـ) بعنوان: «عون الباري لحل أدلة البخاري».

سبب تأليف الكتاب

ذكر زين الدين الزبيدي سبب تأليفه للكتاب في المقدمة فقال: «فاعلم أن كتاب الجامع الصحيح للإمام الكبير الأوحدمقدم أصحاب الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله تعالى، من أعظم الكتب المصنفة في الإسلام وأكثرها فوائد. إلا أن الأحاديث المتكررة فيه متفرقة في الأبواب، وإذا أراد الإنسان أن ينظر في الحديث في أي باب لا يكاد يهتدي إليه إلا بعد جهد وطول فتش. ومقصود البخاري رحمه الله تعالى بذلك كثرة طرق الحديث وشهرته، ومقصودنا هنا أخذ أصل الحديث لكونه قد علم أن جميع ما فيه صحيح. قال الإمام النووي في مقدمة كتابه شرح مسلم: وأما البخاري فإنه يذكر الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابيه الذي يسبق إليه الفهم أنه أولى به، فيصعب على الطالب جمع طريقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره من طرق الحديث. قال: وقد رأيت جماعة من الحفاظ المتأخرين غلطوا في مثل هذا، فنفوا من رواية البخاري

أحاديث هي موجودة في صحيحه في غير مظانها السابقة إلى الفهم. انتهى ما ذكره النووي رحمه الله تعالى. فلما كان كذلك أحببت أن أجرد أحاديثه من غير تكرار».

التعريف بمؤلف الكتاب

هو أبو العباس زين الدين أحمد بن شهاب الدين أحمد بن سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرجي، الزبيدي، اليمني، ولد سنة: (٨١٢هـ)، الموافق: ١٤١٠م، وتوفي سنة: ٨٩٣هـ، الموافق: ١٤٨٨م)، عالم دين وراوي حديث، تلقى تعليمه على يد جماعة من شيوخ زبيد، ثم رحل إلى مكة ونهل من علمائها، وكان أديبا، شاعرا، له مؤلفات منها: (طبقات الخواص)، (نزهة الأحباب)، وأشهر مصنفاته هو هذا الكتاب.

منهج الزبيدي في الكتاب

ذكر الزبيدي منهجه في الاختصار في مقدمة الكتاب فقال: «أحببت أن أجرد أحاديث صحيح البخاري من غير تكرار، وجعلتها محذوفة الأسانيد ليقرب تناول الحديث من غير تعب، وإذا أتى الحديث المتكرر أثبتته في أول مرة، وإن كان في الموضع الثاني زيادة فيها ذكرتها وإلا فلا، وقد يأتي حديث مختصر ويأتي بعد في رواية أخرى أبسط وفيه زيادة على الأول، فأكتب الثاني، وأترك الأول لزيادة الفائدة، ولا أذكر من الأحاديث إلا ما كان مسندا متصلا، وأما ما كان مقطوعا أو معلقا فلا أعرض له،

وكذلك ما كان من أخبار الصحابة فمن بعدهم فلا أذكره. ثم إنني أذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث في كل حديث ليعلم من رواه، وألتزم كثيرا ألفاظه في الغالب».

فبحسب هذه التوضيح من الزبيدي لمنهجه في الاختصار، فإنه حذف: الأسانيد، والأحاديث المعلقة، وآثار الصحابة، والمتابعات واختلاف الأسانيد، والأحاديث المكررة. الشروح على الكتاب وتهذيباته ومستدركاته: فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي، شرح لعبد الله بن حجازي الشرقاوي. عون الباري لحل أدلة البخاري، شرح لصديق حسن خان القنوجي. هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري، ترتيب لعبد الرحيم عنبر الطهطاوي. زوائد الزبيدي، استدرارك لعمر ضياء الدين الداغستاني.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب القيم، وهو طبعة البابي الحلبي، (١٣٤٧هـ)، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الحديث النبوي.

المصادر

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا). الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، لعبد المحسن العباد.

❖ إعداد / تركي محمد النصر

الشوق بعد الرجوع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «... فإني كنت أتوق إلى مكة قبل الحج؛ فداويت هذا الداء بالقصد، فزاد الشوق بعد الرجوع على الحد، وعلمت أن كثرة التردد لا تزيد إلا شوقاً، كما أن لقيا المحبوب لا تزيد نار الوجد إلا وقداً، ثم إنني صادفت من هو أشوق مني، فشغلني ما رأيته من وجده عني، فاتفقنا في أصل الشوق، وافترقنا في قدر التوق».

انظر: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (٥٩/١).

الغفلة في الشبع

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعدته ومناه، وشهاه، وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبت تحركت، وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاءت سكنت، وخشعت، وذلت».

انظر: بدائع الزوائد (٨٢١/٢).

المناسك

قال العلامة ابن عوض المقدسي رحمه الله تعالى: «وهي جمع منسك - بفتح السين وكسرها - فبالفتح مصدر، وبالكسر: اسم لموضع العبادة، مأخوذ من النسيكة، وهي الذبيحة المتقرب بها، ثم اتسع فيه، فصار اسماً للعبادة والطاعة، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحج لكثرة أنواعها، ولما تضمنه من الذبائح المتقرب بها».

انظر: فتح وهاب المآرب (٥/٢).

كرامة من الله

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل يوم وليلة تمر بك معافى في نفسك وأهلك ومالك كرامة من الله».

انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا (٥٣٩/٧).

الدنيا

قال عامر بن عبد قيس رحمه الله تعالى: «الدنيا كل ما فيها يجري على ما لا يريد، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار».

انظر: حياة السلف بين القول والعمل (ص/٤٣٦).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

أدوية المحن والابتلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فلولا أن الله سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء؛ لطغوا، وبغوا، وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به الأدوية المهلكة، حتى إذا هذبه، ونقاه، وصفاه، أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي: عبوديته. وأرفع ثواب الآخرة، وهي: رؤيته وقربه».

انظر: زاد المعاد (١٩٥/٤)

الجهل بالجهل

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل، ولما قيل له: يا أبا محمد، هل تعرف شيئا أعظم من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل».

انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٦٠٠/٢)

طلب العلم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «يفتح للمتعلم بين يدي العلماء ما لا يفتح له دونهم».

انظر: الموافقات (١٤٧/١)

نسيان العلم

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «إن من الذنوب ما يكون سببا لخفاء العلم النافع أو بعضه، بل يكون سببا لنسيان ما علم».

انظر: مجموع الفتاوى (١٦٠/١٤)

العلم كالروض

قال الأديب الرافعي رحمه الله: «... وإنما العلم كالروض، يقصر بعض أغصانه فيسهل على كل متناول، ويطول بعض فروعه، فيكد يد الفارع المتناول».

انظر: تاريخ آداب العرب (٩/١)

ثمرة العلم

والعلم طريق إلى الجنة قال ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة» (رواه أبو داود). فليحرص المسلم على طلب العلم النافع لينفع نفسه وأُمَّته، ولا يطلب العلم ليباهي به الناس أو ليتفاخر على أقرانه، بل يجب أن يصلح نيته ويبتغي به وجه الله لينال ثوابه العظيم، فثمرة العلم العمل به، فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وكان الرسول ﷺ يستعيز بالله من علم لا ينفع كما روى مسلم في صحيحه.

فليتعلم المسلم العلوم الشرعية ليزداد إيمانا وتقوى ويؤدي العبادات على وجهها الصحيح كما أمر الله سبحانه ورسوله الكريم، وترسخ في نفسه الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الله ورسوله، ويطبقها تطبيقا عمليا في حياته، ويتعلم العلوم الدنيوية، ويأخذ بالأسباب التي تدفع إلى التقدم والرقى ليدبر شئون دنياه ومعاشه على أكمل وجه، ويحقق لنفسه وأُمَّته الرخاء.

فالمسلمون محتاجون إلى تربية صحيحة قائمة على أساس من عقيدتهم ودينهم وأخلاقهم التي حث عليها الله ورسوله، ومحتاجون إلى الاهتمام بالبحث العلمي في مجالات الطب والهندسة والفلك والزراعة والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم العصرية، والاستفادة من نتائجها في خدمة حياتهم وبيئتهم، وتحقيق الرخاء والرفاهية للمجتمع والأمة، وإقامة حضارة عظيمة والمسلمون أقدر الأمم على ذلك إن أخلصوا، ولهم في سلفنا الصالح القدوة الحسنة في إقامة حضارة عظيمة قامت على العلم والعمل فسادوا الأمم.

اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرا، وحث على طلب العلم النافع بكل فروعه، فأول ما نزل من القرآن هو الأمر بالقراءة أمرا مكررا، والقراءة هي الطريق إلى العلم، وأقسم بالقلم، والقلم وسيلة من وسائل تحصيل العلم، ورفع مكانة العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة ١١)، وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود).

فالعلماء هم حملة علم الأنبياء، والعلم أشرف ما يسعى إليه الإنسان، لأنه السبيل إلى معرفة الخالق وإدراك عظيمته والتدبر في الكون وما فيه من سنن ومعجزات تدل على عظمة الخالق وقدرته، فيزداد إيمانه بالله وخشيته من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر ٢٨)، فالعلماء أكثر الناس خشية لله، لأنهم يدركون أسرار حكمته وعظمة قدرته.

ولا تقدم لأمة من الأمم إلا بالعلم، فالعلم من أسباب السيادة والرفعة، وقد اهتم المسلمون الأوائل بالعلم، فسادوا الأمم وأقاموا أمة عظيمة قوية تهابها الأمم. والإسلام دعا إلى أعمال العقل ونبذ الخرافات، وأمر بالتفكير في الكون وفي كل ما يحيط بالإنسان، لأنه دين علم وعمل، لا دين جهل وكسل، فالجهل والكسل من أهم أسباب انحطاط الأمم وتخلفها، فالأمة العظيمة والحضارات الراقية لا تقوم إلا على العلم والعمل، وصدق أحمد شوقي في قوله:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

• حسن عثمان حسن



ليسوا ملائكة



يشعرون.
إذا طلبت من الناس أن يكونوا ملائكة حتى تتقبلهم
وتتعامل معهم، فكن أنت ملكا أولا.
وإذا فكرت وتأملت في نفسك وفيمن حولك،
فستدرك أنك لن تكون ملكا، وأن من حولك لن
يكونوا ملائكة.
كلنا بشر، وكل بني آدم خطأ، وخير الخطائين
التوابون.

بعض الناس لا يتقبلون عيوب الآخرين، ولا
يتسامحون مع أخطائهم، وربما دعاهم ذلك إلى
النفور والمقاطعة، وعدم نسيان العيوب والأخطاء،
وقد يلتفتون أنظار من حولهم إلى عيوب هذا أو
ذاك بالهمز أو اللمز.
إنهم يريدون أن يتحول البشر إلى ملائكة ليتعاملوا
معهم، وينسون أنهم مثل هؤلاء الناس، بهم كثير
من العيوب، ويرتكبون كثيرا من الأخطاء، وهم لا

• د. يحيى سنبل

المساكين يعملون



مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمَضَى حُقْبًا ﴿التوبة: ٦٠﴾.
فعلى الأغنياء والجمعيات الخيرية أن ينتبهوا لهذا الأمر، كذلك
الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا علينا أن نبحث عنهم،
فهم أولى بالصدقات لتعففهم، أما الذين يتسولون ويدعون
الفقر وهم قادرون على العمل فلا يجب أن نقف بجوارهم،
ولكن علينا أن نلين لهم القول، امتثالا لقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ
مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

تنتشر وبكل أسف في شوارع كثير من المدن والبلدان ظاهرة
التسول، ويظن الكثير من الناس ان المتسولين يستحقون الزكاة،
وهذا خطأ كبير، فاذا تأملنا قوله تعالى: ﴿أَمْ السَّفِينَةُ فَكَانَتْ
لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ
يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: ٧٩) وجدنا أن المساكين
يعملون، أما المتسولون فلا يعملون، ولذا استحق المساكين
الزكاة لأن دخلهم قليل لا يكاد يكفيهم رغم أنهم يعملون، لذا
قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ

• عمرو عبد التواب

التواصل الحضاري

تدل الحضارات بتنوعها واختلافها على ميراث الأمم وثقافتها، والحضارة الإسلامية هي أسمى الحضارات وأقدسها لتعلقها برب الأرض والسموات، فهي حضارة مقدسة تستمد ميراثها ومبادئها من الوحي الرباني والتشريع السماوي. وتتنوع تعريفات الحضارة ومعانيها على حسب المنطلق الذي تنطلق منه، إلا أن معناها العام بعبارة مختصرة أنها نظام عام يضع قواعد للحياة بشتى مسالكها، ويحكم مجموعات بشرية متنوعة تلتزم بالنظام وتشريعاته وتؤمن به وتدعو إليه.

والحضارة الإسلامية هي هذا النظام الشامل الذي لا تحده حدود، ولا تقطعه أطر الدول والمجتمعات، فحضارة الإسلام بسعتها وشمولها تستوعب بقية الحضارات السابقة واللاحقة، وتعمل على التواصل معها والاستفادة منها في الأمور التي لا تخالف الشريعة الإسلامية، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وهذا ما يميز الحضارة الإسلامية في طريقة تواصلها مع الحضارات الأخرى.

ونعني بالتواصل الحضاري أنه التعاون على إحقاق الحق، ورفع الظلم، والأمر بمحاسن الأفعال والعادات، والنهي عن ضدها، دون التنازل عن أصول الدين وشرائعه، تحقيقاً لخلافة الأرض وعمارتها، فالله سبحانه سخر لنا الكون، تحقيقاً لهذا المقصد،

قال الله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١) وقال جل شأنه: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْطَانًا﴾ (الزخرف: ٣٢).

وتتمثل مظاهر التواصل الحضاري في عمارة الأرض بكل الأساليب والوسائل الممكنة التي لا تخالف الشريعة، ومنها ما جاء عن النبي ﷺ في حلف الفضول بسند حسن أنه قال: «شَهِدْتُ حَلْفَ بَنِي هَاشِمٍ، وَزَهْرَةَ، وَتَيْمٍ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنِّي نَقَضْتُهُ وَلِي حُمْرٍ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ عَلَى أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ».

وقد أهتم الإسلام بتأصيل فكرة استمرارية التواصل الحضاري وأصولها، وعدم تعلقها بالأفراد، في أدبيات الشريعة، لتتلقاها الأجيال، وتعمل على نشرها وتوسيعها، ومن ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى من حث على الدعوة لهذا الدين والحضارة

الخالدة في قول الله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وما جاء عند البخاري من حديث النبي ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب».

ويعد إرسال النبي ﷺ الرسل والكتب إلى أصحاب الحضارات والقادة والملوك، مع مترجمين يوصلون فكر الإسلام الناصع، بداية حضارته المزدهرة، ومن الأمور المعاصرة التي تدل على ذلك ترجمة تفاسير القرآن وكتب الشريعة إلى اللغات الأخرى للتعريف بالإسلام والدعوة إليه.

كما حث الإسلام على إتقان الصناعات والمهارات التي ترتقي بالحضارة، وتطيل من عمرها، ومنها ما جاء في مجال الحرب عند الترمذي بسند حسن صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ؛ صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِي بِهِ وَالْمَمْدُ بِهِ»، وما جاء في مجال الزراعة عند مسلم من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ لَهُ أَكْلٌ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزُوهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ».

فهذه لمحات سريعة عن التواصل الحضاري، متى ما اجتهدنا في تعزيزها، وتخطي عقبات التواصل الحضاري من عدوان أهل الباطل وتعطيلهم لمظاهر الحضارة الإسلامية، وإثارة الشبهات حولها، كان لنا الريادة والقيادة لجميع الأمم، فيعم السلام والأمن والأمان، في كل مكان.

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .

- أرشفة جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .

- تابعوا أحدث الإصدارات .



alwaeiq8@gmail.com



@Alwaei_Aislami



مجلة الوعي الإسلامي



موقع مجلة الوعي الإسلامي

مجلة الوعي الإسلامي

مصرف الصدقات



وقف على دعم بعض الفئات الضعيفة والمحتاجة
في المجتمع، لسد حاجتها، وحفظ كرامتها



Q8APF | WWW.AWQAF.ORG.KW

